

## الغوث الأعظم سيدنا الشيخ محمد بن محمد بهاءالدين الشاه

### نقشبند الأويسي البخاري قدس الله سره العزيز

بحر من العرفان لا ساحل له نسجت أمواج مواه العلوم الربانية حله ، وفاض على العالمين بحر بره فاروى بارواح أمداده جميع الكون بحره وبره . كوكب تحلى تاج الإرشاد منه بالدرّ اليتيم . فله در سحابة الأيام من أم أنجبت إذ إنجابت عن هذا الأمام ، ثم عادت وهي عن مثله عقيم . والشمس وضحاها والأرض وماطلاها لم يدم نفساً إلا بأنفاسه القدسية زكّاه ولا نار همة إلا بأسراره المحمدية أذكّاه ، ولا ظلمة جهل إلا بأنواره البهائية أخفّاه ، ولا شبهة خاطر إلا ببراهينه الجليلة نفاها ، الى كرامات كريمات وآيات عظيما ت طالما أحييت من القلوب مواتها وأتت الأرواح أفتواتها . إرتضم ثدي التصرفات الفوئية وهو في المهد صبيّاً وتضلم من رحيق مختوم العلوم الختمية بأكواب الارثية . فلو لم تُختم النبوة لكان نبياً . فأعظم به من مجدّد خفقت قلب الخافقين فرحاً به وأصبحت أكاسرة الملوك وقوفاً في رحابه وملأ صيت إرشاده الملأ . فلا وربك لم يبق أحد إلا إستمد من إمداده حتى وحوش الفلا . فهو الغوث الأعظم وعقد جيد المعارف الأنظم . إنزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغرار وعادت الأشرار ببركة أسراره من أختيار الأعيان وأعيان الأختيار .

(ولد قدس الله سره) في شهر محرم الحرام سنة سبعم عشرة وسبعمئة في (قصر العارفان) قرية من قرى بخارى على فرسخ منها والألف والنون في العارفان علامة الجمع في اللغة الفارسية . وكانت منازل الولاية في غرته الطاهرة ظاهرة وعلائم السعادة على كرائم أحواله بادية بادرة . أتشفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة .

(تلقى) هذه الطريقة العلية في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي ، ثم من بعده صحب السيد أمير كلال . وفي الحقيقة كان أويسياً ربته روحانية مولانا الشيخ عبدالخالق الفجدواني قدس الله سرهم .

### بداية هدايته وهداية بدايته

قال قدس الله سره : أرسلني جدي وكان سني وقتنذ نحو ثمان عشرة سنة الى (سماس) لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السماسي باستدعاء منه لي . فلما نلت الحصول اليه لم يأت وقت الغروب إلا وجدت ببركته بنفسه سكينة وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً . ثم إنني قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت اليه كثيراً . فمرّ على لساني في أثناء دعائي الهي أعطني قوة على تحمّل البلاء ومحنة المحبة . ثم إنني صليت الفجر مع الشيخ قدس سره . فلما إنصرفت من الصلاة التفت اليّ وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف ثم قال لي : "ياولدي ينبغي أن تقول في دعائك الهي أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك فإنه تعالى لايرضى أن يكون عبده في بلاء وإن أبتلي حبيبه على مقتضى حكمته يعطه قوة على تحمّله ويطلعه على حكمته فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء فإنه ينافي مقام الأدب" .

(وقال قدس سره) لما توفي حضرة الشيخ محمد بابا السماسي أخذني الجد الى سمرقند فكان كلما سمع بربك صالح من أهل الله حملني اليه وسأله الدعاء لي فكانت تنالني بركتهم . ثم أتى بي الى بخارى

وزوجني بها وكانت إقامتي في قصر العارفان ومن العناية الإلهية أنه وصلت الي قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات . فتحسنت أحوالي وقويت آمالي الى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرني بأن حضرة الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي ، وقال لاتأكُ جهداً بتربية وليد محمد بهاءالدين ولا بالشفقة عليه ولست مني في حل إن قصرت في ذلك . فقال له قدس سره إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل ثم وفي بوعده .

( وقال ) قدس سره : "مبتدأ يقظتي وتوبتي أنني كنت جالساً مع صاحب لي في خلوة فبينما أنا ملتفت اليه أكلمه إذ سمعت قائلاً يقول لي (أما إن لك أن تعرض عن الكل وتتوجه الى حضرتنا) فحصل لي من سماع هذا الكلام حال عظيم وخرجت مسرعاً من ذلك البيت لايقر لي قرار . وكان قريباً منه ماء فباغتسلت منه وغسلت ثيابي . وفي تلك الحالة من الإنابة صليت ركعتين طالما مضت علي أعوام وأنا أتمنى أن أصلي مثلهما فلم أتمكن من ذلك .

( وقال قدس سره ) قيل لي في بداية الجذبة كيف تدخل في هذا الطريق ؟ فقلت : على أن يكون كل ما أقوله وأريده . فليل لي كل ما نحن نقوله يجب أن يفعل . فقلت لأطيق ذلك بد إن كان كل ما أقوله يصير أضع قدمي في هذا الطريق وإلا فلا . وتكرر ذلك مرتين ثم تركوني ونفسي خمسة عشر يوماً . فحصل لي بأس عظيم ثم بعد ذلك قيل لي إن الذي تريده يكون . فقلت أريد كل من دخلنا تشرف بمقام الوصول .

### اجتهاداته ومجاهداته

( قال قدس سره ) خرجت يوماً في حال غلبة الجذبة والغيبة هائماً على وجهي أذهب كل مذهب ولطالما تجرحت قدمي من الشوك ، حتى إذا دنا الليل جذبتني زيارة السيد أمير كلال قدس سره ، وذلك في فصل الشتاء وشدة البرد وليس على ظهري إلا فروة عتيقة . فلما وصلت الى منزله وجدته جالساً بين أصحابه فحينما أبصرني سأله عن معرفته بي فقال : أخرجوه من هذا المنزل .

فلما خرجت أوشك أن تنفر مني نفسي وتطغى وتجذب مني عنان الإنقياد والتسليم ، ولكن تداركتني عناية الله ورحمته فقلت إنني لأتحمل كل مذلة في ابتغاء مرضاة الله تعالى وهذا هو الباب فلا مندوحة لي عنه . ثم وضعت رأس التواضع والإنكسار على عتبة العز وقلت لنفسي إنني لأرفع عن هذه العتبة رأسي ولو حصل لي مهما حصل ذلك والتلج ينزل شيئاً فشيئاً علي والهواء شديد البرودة جداً . ولم أزل كذلك حتى قرب وقت الفجر فخرج السيد قدس سره فوقه قدمه الشريف على رأسي . فلما أحس بي رفع رأسي عن العتبة وأدخلني المنزل وبشرني وقال لي يا ولدي إن ثوب هذه السعادة على قدر ذاتك . ثم جعل يخرج بيده الشريفة مافي قدمي من الشوك ويمسح ماًصاحبهما من الجراحة ويمدني بفيوضاته الوافرة والطاقفه الباهرة قدس الله سره .

( وقال قدس سره ) كنت في بخارى والسيد كلال في (نسف) فوجدت في نفسي داعية لزيارته . فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت الى مقامه وسلمت عليه قال لي : يا ولدي لقد جئت في وقت الحاجة فإنا هيأنا المطبخ ونريد من يحتطب لنا .

فشكرته على هذه الإشارة وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخز حين أحمله

(وقال) قدّس سرّه توجهت يوماً وأنا في حالة غلبة الجُذبة الى زيارة السيد كلال في (نسف) . فلما أن وصلت الى رباط الجفرائي إذا أنا بفارس في يده عصا جسيمة وعلى رأسه لبدة فدنا مني وضربني بتلك العصا وقال لي بالتركية : "هل رأيت الخيل؟" . فلم أجبه فجعل يعترضني في الطريق ويشوش عليّ مسيري . فقلت له إني أعلم من أنت فتبعني الى رباط قراول ثم دعاني الى صحبتته . فلم ألّفت اليه ولم أكلّمه ومضيت . فلما أتيت الى حضرة الشيخ قال لي : إن الخضر عليه السلام قد لقيك في الطريق فلم لم تلتفت اليه ؟ فقلت له : لأنني لما كنت متوجهاً اليكم لم أشتغل بسواكم .

(وقال نصرّ الله وجهه) كنت أوائل السلوك وغلبة الأحوال عديم القرار أدور الليلك في نواحي بخارى وأزور القبور . فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسم قدّس سرّه فوجدت عنده سراجاً وفيه دهن واف وفتيلة طويلة ، غير أن الفتيلة تحتاج الى تحريك قليل حتى يخرج الدهن ويتجدد نورها . فلما لبثت أن وقعت الإشارة اليّ بالتوجه الى زيارة ضريح الشيخ أحمد الأجهريوي قدّس سرّه . فلما وصلت اليه إذا بسراج هنالك مسرح كذلك وإذا برجلين قد أتيا فربطوا على وسطي سيفين وأركباني حماراً ووجهاه الى ضريح الشيخ مزدخن قدّس سرّه . فلما وصلناه رأيت سراجاً كاللذين قبله فنزلت وجلست متوجهاً الى نحو القبلة فوقم لي في ذلك التوجه غيبة . فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلي قد انصدم وظهرت دكة عالية عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي قدّس سرّه . فقلت في نفسي ليت شعري من هذا الرجل العظيم ومن حوله ؟ فقال لي أحدهم أما الرجل فهو الشيخ عبدالخالق الفجدواني وأما الجماعة فهم خلفاؤه وجعل يشير الى كل واحد منهم ويقول لي هذا الشيخ أحمد الصديق وهذا الشيخ أوليا الكبير وهذا الشيخ عارف الريوكري وهذا الشيخ محمود الانجيرفغوي وهذا الشيخ الراميتني . ولما بلغ الى الشيخ محمد بابا السماسي قال وهذا رأيت في حياتك وهو شيخك وقد أعطاك قلنسوة أفتره؟ فقلت نعم . وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها . ثم قال وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاءً عظيماً قد كان حلّ بك . فقال لي الجماعة أصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير قدّس الله سرّه يريد أن يتلو عليك ما ليس لك عنه غنى في سلوك السلوك أوله ووسطه الى أن قال : "وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية فإنما هي لك بشارة وإشارة الى أن لك استعداداً تاماً وقابلية لهذا الطريق غير أنه ينبغي تحريك فتيلة الإستعداد حتى تقوى الأنوار وتظهر الأسرار ، فأدّ القابلية حقها تبلغ الأوطار . وعليك بالإستقامة والثبات على جادة الشريعة المصطرفة في جميع الأحوال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة والبدعة . وأن تجعل قبلك أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتفحص عن أخباره وأثاره وأحوال أصحابه الكرام . ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك" .

ولما أن أتم قدّس سرّه كلامه قال لي خليفة الشيخ قدّس سرّه وأية صدق هذه الواقعة أن تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الانبيكوتي وتخبره بأن ما يدعيه فلان التركي على السقا هو صحيح والحق مع التركي وأنت تساعد السقا ، فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان : الأول أنك ياسقا عطشان فهو يعرف معنى هذه الكلمة والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني تحت كرمة . ثم قال فإذا بلغت هذ الرسالة لمولانا شمس الدين فخذ في اليوم الثاني ثلاث حبات من زبيب وإذهب الى (نسف) لخدمة السيد كلال وستجد في المحل الفلاني من الطريق شيخاً

يعطيك رغيفاً حاراً فخذهُ منه ولا تكلمه وامض في طريقك . فتمرّ على قافلة فإذا جاوزتها إستقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك وخذ معك قلنسوة العريزان الى السيد كلال ثم بعد ذلك حركوني فرجعت الى نفسي .

( يقول قدّس سرّه ) فلما أصبحت ذهبت الى منزلي في ( زيورتون ) وسألت أهلي عن القلنسوة فأتوني بها وقالوا إن لها في ذلك الموضع مدة مديدة ، فلما رأيتهما أتاني حال عظيم وبكاء شديد . فأخذتها وتوجهت ساعتئذ الى أنبيكتة ( قرية من قرى بخارى ) فاتيت مسجد مولانا شمس الدين وصليت معه الصبح ، ثم بلغته ما أرسلت به اليه . فتحير وكان السقا ثمّ حاضراً ، فأنكر صحة دعوى التركي . فأقمت عليه البيّنة السابقة فكذب أمر الفاحشة . فذهب جماعة ممن في المسجد الى ذلك الموضع فحفروه فوجدوا السقا مدفوناً . فطلف السقا يعتذر وبكى مولانا شمس الدين وجماعة المسجد وحصل لهم أحوال عظيمة . ( يقول ) ثم عزمتم في اليوم الثاني على التوجه الى ( نسف ) من الطريق الذي عيّنوه لي في الواقعة وأخذت معي ثلاث حبات من زبيب . فبلغ مولانا توجهي فأرسل اليّ ولطفني كثيراً وقال : إنني أرى أم الطلب قد إستولت عليك وأثرت بك لوعة الحصول على الوصول وشفائك عندنا ، فأقم لنؤدي تربيتك ونبفلك أقصى بغيتك على مقتضى علوّ همتك . فرأيتني أقول له : أنا ولد غيركم ولو جعلتم ثدي التربية في يّ لأقبله . فسكت وأذن لي بالسفر فتحزمت بحزام لي وأمرت شخصين أن يشدّاه من الطرفين ليكون في غاية الإحكام وسرت . فلما وصلت المكان الذي ذكر لي لقيت فيه شيخاً أعطاني رغيفاً حاراً فأخذته ولم أكلمه . ومضيت فإذا أنا بقافلة فسألني أهلها من أين أتيت ؟ فقلت لهم من ( أنبيكتة ) . قالوا متى خرجت منها ؟ فقلت لهم وقت طلوع الشمس ، وكان ذلك عند الضحى . فعجبوا من ذلك وقالوا إن بين القرية وهذا المحل أربعة فراسخ ونحن خرجنا أول الليل ، ثم بارحتهم وسرت . فما نشبت أن إستقبلني فارس فحينما وصلت اليه سلمت عليه فقال لي : مَنْ أنت فإني أجدني خائفاً منك ؟ فقلت له : أنا الذي تكون توبتك على يديه . فتحول بالحال عن فرسه وأظهر كمال التواضع والتضرم وتاب ، وكان معه أحمال من خمر فأهرقها كلها . ثم جاوزته وقد دخلت حدّ ( نسف ) فقصدت مقام السيد أمير كلال فلما تشرفت برؤيته وضعت القلنسوة بين يديه ، فسكت برهة طويلة ثم قال : هذه قلنسوة العريزان ؟ فقلت له : نعم . فقال : صدر الأمر بأن تحفظ ضمن عشرة أغشية . فأخذتها وفعلت كما أمر . وبعد ذلك لقنني الذّكر بالنفي والإثبات خفية وأمرني بالإشتغال به فتابعته على ذلك . ولكوني أمرت في الواقعة بالأخذ بالعزيمة لم أذكر بالجرم . ثم لازمت العلماء لإقتباس أنوار العلوم الشرعية منهم واقتفاء آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة أحاديثه الشريفة والبحث عن أخلاقه وأحوال الصحابة الكرام والعمل بها كما أمرت . فوجدت لذلك تأثيراً تاماً ونفعاً عظيماً . وكل ما تكلم به حضرة الشيخ عبدخالق قدّس سرّه مرّ عليّ وظهرت لي نتيجة كل أمر في وقته . أه . وبهذا يتبين لك ما تقدّم من انه كان أويسياً ربه روحانية سيدنا عبدخالق قدّس سرّهما .

## إفصاح

قال سيدي الجد قدّس سرّه في "البهجة السنية" من فضل ترجمته سيدنا البهاء قدّس سرّه ما ملخصه : (اعلم) أن من زمن الشيخ محمد الانجيرفغوي الى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للذّكر بالجرم . وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية . فلما تلقى سيدنا البهاء قدّس سرّه هذه الطريقة العلية إقتصر على الذّكر الخفي . أخذ بالعزيمة حتى كان إذا اجتمع أصحاب الأمير كلال قدّس سرّه وشرعوا بالذّكر يقوم من

بينهم . فكان يشقُّ ذلك عليهم ويسيء بعضهم به الظن وهو لا يلتفت اليهم ولا ينظر الى مراعاة خواطرهم ، مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدس سره ورعاية الآداب الواجبة في حقه وكمال الإستسلام والإنقياد لأوامره . والأمير قدس سره يزداد كل يوم التفاتاً إليه واعتناءً بشأنه واهتماماً بتربيته . ولم يزل في صحبته حتى اجتمع ذات يوم أصحاب الأمير قدس سره لعمارة مسجد وكانوا زهاء خمسمائة . فبعد فراغهم جلسوا كلهم عنده فالتفت الى من كان يسيء الظن بحضرة البهاء وينسبون اليه النقص والتقصير عند الأمير وقال لهم : "ك ما تظنون به بالشيخ بهاء الدين إنما هو غلط وغير صحيح فإن الله تعالى قد قبله ، ولكن ما عرفت موه ونظري والتفتاتي اليه كان تابعاً لقبوله تعالى" . ثم دعا به ولم يكن حينئذ حاضراً بل كان ينقل لبين المسجد . فلما حضر قال له : "يا ولدي اني قد وقيت حق وصية الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره في شأنك" . ثم أشار الى ثديه وقال له : "إنك قد ارتضعت ثدي التربية حتى نضب ولم تزل قابليتكم في علو وإستعدادك في قوة فقد أجزت لك أن تسعى في طلب المشايخ فتستفيد منهم وتستفيد على مقتضى عظمة همتك" . قال سيدنا البهاء فكانت هذه الإشارة من السيد قدس سره سبب ابتلائي .

(وقال قدس سره) ثم صحبت مولانا عارف الديك كراني سبعم سنين ثم مولانا قثم شيخ ونمت ليلة فرأيت الحكيم آقا قدس سره ، وكان من أكابر مشايخ الترك ، وهو يوصي بي درويشاً . فلما إنتبهت بقيت صورة الدرويش في مخيلتي . كانت لي جدة سالحة فقصصت عليها هذه الرؤيا فقالت : "سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيب" . فلم أزل أتوخي لقاء هذا الدرويش حتى لقيته في بخارى فعرفته وكان اسمه خليل غير أنني لم أتمكن ساعتئذ من صحبته . فذهبت الى البيت وأنا مشغول البال . فلما كان وقت المغرب أتاني شخص فقال لي إن الدرويش خليل يريدك . فأخذت في الحال هدية الزيارة وأسهرت بالذهاب اليه .

فلما تشرفت بلقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا فقال بالتركية : "إني أعلم ما رأيت فلا حاجة الى البيان" . فمال قلبي اليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه ونلت بصحبته أحوالاً عالية ، حتى أن أهل ماوراء النهر قد ولوه بعد مدة عليهم سلطاناً . فماترت ملازمته بل كنت أشاهد منه في أيام سلطنته أحوالاً عظيمة ، فيزداد قلبي حباً به ويزداد هو تربية لي وترقية لأحوالي ورافة بي . ولطالما علمني من آداب الخدمة ما نفعتني كل النفع في معرفة آداب السير والسلوك . وأقمت في صحبته ست سنين مدة سلطنته ، فكانت في الجلوة مراعيماً لآداب خدمته وفي الخلوة محرم خاصة صحبته . وكثيراً ما كان يقول في حضرة خواص أصحابه : "كل من يخدمني ابتغاء مرضاة الله تعالى يصير عند الناس عظيماً" . وكنت أعلم ماذا أراد بهذا الكلام ومن أراد . فإنه يشير اليّ بأن تعظيم الملوك وإجلالهم لا ينبغي أن يكون لعظمتهم وسطوتهم الظاهرة ، بل لأنهم مظهر جلال مالك الملك سبحانه وتعالى . ثم بعد حين آل ملكه الى الزوال وتحولت بانتقاله الأحوال وأصبح في لحظة ذلك العز والخدم والحشم هباءً منثوراً . فزادني ذلك في الدنيا زهداً وعن أعمالها فتوراً ورجعت الى بخارى وأقمت في زيورتون .

(وقال قدس سره) لقيت أوائل الطلب والجذبة رجلاً من أصحاب الله فقال لي : الظاهر إنك من الأصحاب . فقلت له : إن وجدت شكرت وإلصبرت . فتبسّم وقال : هذا سهل وإنما الأهم أن تكلف نفسك إنفاً إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لاتعصك . فتواضعت له وأقبلت عليه وطلبت منه الإمداد . فأمرني بالإشتغال

بجبر الخواطر وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لا يكثر بهم أحد من الناس مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والإنكسار . فامتثلت أمره وصرفت في ذلك أياماً كثيرة مع الإخلاص في ذلك التذلل . فنهضت بأعباء هذه الخدمة كما أمرني حتى كنت إذا لاقاني في الطريق كلب وقفت حتى يمر هو أولاً لنلا أتقدم عليه . ولم أزل كذلك سبع سنين ، ثم بعد ذلك أمرني أن أشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع وأطلب منهم الإمداد ، وقال لي : "إنك ستصل الى كلاب منهم تنال بخدمتهم سعادة عظيمة" .

فباغتنتم نعمة هذه الخدمة ولم أله جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبةً ببشارته حتى وصلت مرةً الى كلب فحصل لي من لقاءه أعظم حال . فوقفت بين يديه واستولى علي بكاءً شديداً ، فاستلقي في الحال على ظهره ورفع قوائم الأريم نحو السماء ، فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوهاً حنيناً . فرفعت يدي تواضعاً وانكساراً وجعلت أقول أمين حتى سكت وانقلب . ( وخرجت ) يوماً من تلك الأيام الى بعض الجهات فوجدت حرباء قد استغرقت في رؤية جمال الشمس . فباعتراني من مشاهدتها وجد وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها وهي في هذا المقام . فوقفت على أتم هيئة من الأدب والإحترام ورفعت يدي فرجعت من استغراقها واستلقت على ظهرها وتوجهت الى السماء وأنا أقول أمين . ثم بعد ذلك أمرني باماطة الأذى عن الطريق . فتأبرت على ذلك سبع سنين بحيث لا يرى أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبل أو أحجارها . هذا وكل ما أمرني به ذلك العزيز فعملت بصدق طوية وإخلاص نية ووجدت منه النتائج النفيسة في نفسي والترقي التام في أحوالي .

( وقال قدس سره ) بت ليلة مع الأصحاب في منزل بزورتنون فاحتلمت فخرجت ليلاً لأغتسل ، وكان ذلك في فصل الشتاء والمياه كلها قد جمدت . فكنت كلما أتيت ماءً أجده جامداً من شدة البرد ولم أجد ماأكسر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابي لنلا أشق عليهم ومامعي الآفروة عتيقة . فلما ينست ذهبت من زيورتنون الى منزلي في قصر العارفان وصرت أفنتش على ماأكسر به الجليد ، وماأطلعت أحداً من أهلي على ذلك . فبعد استيعاب المنزل وماحوله وجدت على حافة حوض قرب المسجد إناءً يغترفون به الماء . فجعلت أكسر به الجليد وأصابني مشقة تامة من ذلك حتى تجرحت يدي ثم أخذت به الماء واغتسلت فبردت برداً شديداً ، فلبست تلك الفروة وفي تلك الساعة مع هذا البرد الشديد رجعت من قصر العارفان الى زيورتنون .

( وقال قدس سره ) كنت يوماً من أيام الأحوال في ذلك البستان ( وأشار الى البستان الذي هو الآن محل ضريحه الأنور ) أنا وجماعة من المتعلقين بي . فغلبت عليّ الجذبات الإلهية ولطف العنايةات الربانية واضطربت اضطراباً عظيماً لم أطلق معه الثبات ولا الإشتغال وأنا مستريح . فقممت مسلوب القرار وجلست مستقبل القبلة ، فحصل لي وقتنذ غيبة إتصلت بالفناء الحقيقي وحقيقة الفناء في الله عز وجل . ورأيت في صورة نجم في بحر من نور بلا نهاية وإني إنمحيث فيه ولم يبق بي من الحياة الظاهرة أثر . ففزم الحاضرون وبكوا في تلك الحالة عليّ ثم بعد ست ساعات ردت اليّ بشريتي شيئاً فشيئاً .

( ونُقِل ) أنه لما حاصر عسكر القبجاق مدينة بخارى إتخذ أهلها السطوم مبارز من فرط الإزدحام . فكان قدس سره يوماً جالساً مع أصحابه على سطح أمد للصلاة إذ دخل عليه رجلان من طلبة العلم مخلصان لجنابه . فأمرهم قدس سره أن ينظفوا السطوم التي حول سطحه من الأتذار وقال إنني طالما نظفت مبارز

مدارس بخارى .

(وقال قدس سره) لاينفم سالك هذا الطريق إلا البيدل والمسكنة وعلو الهمة فاني أنا ما دخلوني إلا من هذا الباب ومانلت ما نلت إلا من ذلك . (وقال قدس سره ورُفِعَ في الملأ الأعلى قدره) نفى الوجود ، وعدم رؤية النفس في هذا الطريق هو رأس مال دولة القبول والوصول . واني في هذا المقام نسبت نفسي الى كل طبقة من طبقات الموجودات ، فوجدت كل فرد منها في الحقيقة أحسن مني حتى اني وصلت الى طبقة الفضلات ، فرأيت لها منفعة ولم أر لي منفعة . ثم وصلت الى فضلة الكلب فقلت مالها نفع فحكمت على نفسي بانها مثلها ، ثم تبين لي أن لتلك الفضلة نفعاً فحينئذ تحققت أنه ليس لي نفع أصلاً . (وقال قدس سره) طفت ليلة حول زيورتون فوصلت الى أكمة هنالك فورد عليّ حال عجيب . فقبل لي أطلب من حضرتنا ما أردت ، فقلت مع التواضع والخضوع الهي هب لي قطرة من بحار رحمتك وعنايتك . فقيل لي تطلب من كرم حضرتنا قطرة . فاخذني حال أعظم وهزّنتي الأريحية وعلو الهمة . فلطمت وجهي لطمة قوية وجدت أهلها أياماً وقلت يا كريم هب لي بحار رحمتك وعنايتك مع القوة على تحملها . فظهر لي على الفور أثر الموهبة والعناية وبركة ذلك بلغت ما بلغت . (وقال قدس سره) وشرف في الدارين قدره ، يوماً لأصحابه يعلمهم علو الهمة : "لستم في حلّ مني إن لم تكن همتمكم في طلب المقصود أن تضعوا أقدامكم على رأسي وترتقوا" . (وقال قدس سره) في بيان أحوال سلوكه واثار تأثير الإستمداد من روحانية السادة الأمجاد . إن التوجه لروحانية سيدنا أوييس القرني أعظم تأثير في الإنقطاع التام والتجرد الكلي عن العلائق الباطنة والظاهرة والتوجه لروحانية الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي يوجب محو الصفة . (وقال) جامع مناقبه مولانا صلاح قدس الله سره : "كنت عند الشيخ سنة تسع وثمانين وسبعمائة فسمعته يقول إن لي إثني عشر سنة وأنا على قدم الحكيم الترمذي فإنه كان لا صفة له وأنا الآن لا صفة لي عرف ذلك من عرف" . (وقال قدس سره) وضعنا القدم في هذا الطريق ونحن مائتا شخص . فاجتهدت أن أسبق الجميع فأدركتني عناية الله سبحانه وتعالى فسبقتهم ووصلت الى المقصود .

وله اجتهادات قوية ومجاهدات غير هذه كلية تُعلم من الوقوف على مقاماته نفعنا الله والمسلمين ببركاته . وقد حجّ ثلاث مرات ومرّاً أخيراً بمرور فأقام بها مدة ثم إنتقل الى بخارى وأقام في قصر العارفان وكان يُعرف من قبل بقصر الهندوان . فطار صيت إرشاده كل مطار وقصدت رحابه بالرحلة من كافة الأقطار ، واشتعل به الكون نوراً وتبدلت غيوم القلوب بعلم الغيوب وشرو النفوس سروراً . وأصبح يبث من العلوم الغيبية والأسرار الوهية والمعارف الأحدية والفيوضات المحمدية ما لا يحيط به محيط ، وكيف يحاط بالبحر المحيط وله آيات بيّنات هنّ على جلالته بيّنات .

### بيّنات آياته وآيات بيّناته

(قال قدس سره) في قوله في الحديث القدسي "نفسك مطيّتك فارقت بها" إشارة الى النفس المطمئنة المتشرفة بخلة (إلا مارحم ربّي) . وقد يحصل لبعض الأولياء حال بحيث يصلون في الإنقياد الى مقام إذا أمر بشيء لا يمكنهم المخالفة . (وقال قدس سره) في قوله صلى الله عليه وسلم "أصم الأذى عن الطريق" . المراد من الأذى النفس ومن الطريق طريق الحق كما قيل لأبي يزيد رضي الله عنه (خلّ نفسك وتعال) .

(وَسُئِلَ) قَدَسَ سرّه عن إختلاف قول الخلفاء الأربعة الراشدين رضوان الله عليهم فقد قال الصديق الأكبر : "مارأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله" ، وقال سيدنا عمر بعده ، وقال سيدنا عثمان معه ، وقال سيدنا عليّ فيه . وكان ذلك في بغداد في مجلس غاص بالعلماء وكبار المشايخ . فقال قَدَسَ سرّه ما حاصله "إختلاف الأقوال بسبب إختلاف الأحوال" . (وَسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن المقصود من السلوك فقال : "المعرفة التفصيلية" ففيل له وما المعرفة التفصيلية ؟ قال من علم وقيل من المخبر الصادق صلى الله عليه وسلم إجمالاً يعلم ذلك بالسلوك تفصيلاً ويترقى في مرتبة الدليل والبرهان الى مرتبة الكشف والعيان . (وقال قَدَسَ سرّه) مَنْ طلب الحق تعالى فقد طلب البلاء . ورد في الأحاديث القدسية "مَنْ أَحْبَبَنِي ابْتَلَيْتَهُ" . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أحبك . فقال إستعد للفقر . وأتاه آخر فقال له يارسول الله إني أحب الله ، فقال إستعد للبلاء . (وقيل له قَدَسَ سرّه) بماذا يطعم أهل الله على الخواطر والأعمال الخفية والأحوال ؟ فقال بنور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها كما ورد في الحديث الصحيح "أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" . (وطلب منه قَدَسَ سرّه) إظهار الكرامات ، فقال مشيناً على وجه الأرض مم وجود هذه الذنوب أظهر الكرامات .

(وَسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن معنى قول بعض السادات "الصوفي غير مخلوق" فأجاب بأن للصوفي في بعض الأوقات حالاً لا يكون فيها هو ، فهذا الكلام بالنسبة الى ذلك الوقت والإ فالصوفي مخلوق . (وَسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن قول الجنيد "أقطع القارئ وصل الصوفي من القاريء ومن الصوفي ؟" فأجاب بأن القاريء هو المشغول بالإسم والصوفي هو المشغول بالمسمى . (وَسُئِلَ قَدَسَ سرّه) عن قولهم "الفقير هو الذي لا يحتاج الى الله" . فقال المراد منه نفي الإحتياج الى السؤال كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام "حسبي من سؤالي علمه بحالي" . (وَسُئِلَ) عن قولهم "إذا تم الفقر فهو الله" فقال هذا إشارة الى الفناء ومحو الصفات وأنشد بالفارسية ما معربه :

مَنْ كَانَ حِينَ لَمْ تَكُنْ لَمْ يَكُ إِلَّا اللَّهُ  
وَإِذْ فَنَيْتَ مَنْ بَقِيَ لَمْ يَبْقُ إِلَّا اللَّهُ

(وقال قَدَسَ سرّه) إن الأحوال من الشيخ كرامات للمريد . (وَذَكَرَ) عنده قَدَسَ سرّه انه قيل للشيخ أبي الخير قَدَسَ سرّه عند احتضاره : آية آية نقرأ أمام جنازتك ؟ فقال : إقرأوا هذا البيت :  
وأحسن ما في الكون من عين أصله سرور محب من حبيب يوصله  
فقال سيدنا البهاء قَدَسَ سرّه هذا عمل عظيم ليُقرء أمام جنازتي هذا البيت وأنشد بالفارسية ما مضمونه وهو من تعريب صاحب "الرشحات" :

أَتَيْنَاكَ بِالْفَقْرِ لَا بِالْغِنَا وَأَنْتَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُحْسِنًا

(وقال قَدَسَ سرّه) المراد من قولهم "المجاز تنظرة الحقيقة" أن جميع العبادات الظاهرة والباطنة القولية والفعلية مجاز فما لم يجاوزها السالك لا يصل الى الحقيقة . (وقال قَدَسَ سرّه) كان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قَدَسَ سرّه يقول "غب الزيارة مع حضور القلب خير من دوامها بلا حضور" . (وقال قَدَسَ سرّه) ينبغي للمريد إن حصل له في شيخه إشكال أن يصبر على قدر تحمله ولا يسيء إعتقاده فيه ثم إن كان مبتدئاً يجوز له السؤال أو متوسط الحال قالوا لا يسأل . (وخرج) يوماً غلام من المكتب ومعه مصحفه فسلم على سيدنا البهاء قَدَسَ سرّه ففتحوا مصحفه فخرج قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) فقال أرجو أن أكون ذلك . (وقال قَدَسَ سرّه) الفقراء أهل نقد لا يحويلون أمورهم الى غد ولذلك

قيل الصوفي ابن وقته . وأنشد بالفارسية ما معرّبه :

مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ تَبَرَّأَ مِنْ فَتَى      يُوْخِرُ فَعَلَ الْيَوْمَ مِنْهُ إِلَى غَدِ

(وقال قدّس الله سرّه) تصحيح أمور النية مهم للغاية لأن حسن النية من عالم الغيب لا من عالم الكسب . ولذلك لم يُصلِّ أحدٌ كباراً الإسلام يعني ابن سيرين على جنازة الحسن البصري رحمهما الله تعالى ، وقال لم تحضرني النية . وروي عن الشيخ سهل التستري أنه قال : "النية نور لأن النور نور الله والياء يد الله والهاء هداية الله وإن النية نسيم الروم" . (وقال قدّس الله سرّه) يوماً لأصحابه : ما الفقير ؟ فما أجابه أحدهم ، فقال : مَنْ باطنه حرب وظاهره سلم . (وقال قدّس الله سرّه) للسالك أن يترك النوافل في بعض الأوقات وذلك إذا أنست الطبيعة بها لنلا تصير له إعادة مألوفة . فإن المقصود أن يكون أنس السالك بمولاه لا بالأعمال . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم "وجعلت قرّة عيني في الصلاة" ولم يقل بالصلاة . (وقال قدّس الله سرّه) إذا تكلم المرید بحال ليس فيه حرّم الله عليه شرف الوصول الى ذلك الحال . وأنشد مجنون بيتاً بالفارسية في حضرته معناه :

كل الوری تهوی الملام وإنما      یرقی فی العلامن كان یهوی غيرها

فقال قدّس الله سرّه إنا قد استنفدنا الطریق من هذا القائل ثم أمر المریدین بحفظه .

(وقال قدّس الله سرّه) كل من أراد نفسه ما أراد نفسه ومَن أراد غيره فقد أراد نفسه . (وقال قدّس الله سرّه) إن الله خلقني لخراب الدنيا والناس يطلبون مني إعمارها . (وقال قدّس الله سرّه) إن أهل الله يتحملون ثقل الخلق ليتمدّب منهم الخلق ويتشرّفوا بالقرب من الله تعالى . فإنه مامن وليّ إلا والله نظر الى قلبه علم ذلك أم لا ، فكل من لقيه نال بركة ذلك النظر الإلهي . (وقال قدّس الله سرّه) مرآة كل المشايخ لها جهتان ومرآتنا لها ست جهات . (وقال قدّس الله سرّه) أربعون سنة وأنا في ملاحظة مراتبي والعمل بها فلم تغلط مرآة وجودي أصلاً . (وقال قدّس الله سرّه) مَنْ عرف الله لم يخف عليه شيء . (وقال قدّس الله سرّه) حقيقة الأدب ترك الأدب . (وقال قدّس الله سرّه) إذا أردت مقام الأبدان فعليك بتبديل الأحوال وأنشد بيتاً بالفارسية معرّبه :

مَنْ بَدَّلَتْ أَوْصَافَهُ فَهُوَ الْبَدَلُ      بِخَلَّةِ اللَّهِ غَدَا خَمْرُهُ خُلُّ

(وقال قدّس الله سرّه) في العبادة طلب الوجود وفي العبودية تلف الوجود ولا ينتج العمل مادام الوجود باقياً . (وقال قدّس الله سرّه) الطریق الذي يصل بها العارفون الى معروفهم ويجدونهم دون غيرهم مبنية على ثلاث أمور : المراقبة والمشاهدة والمحاسبة . فالمراقبة نسيان المخلوق بدوام النظر الى الخالق . والمشاهدة واردات غيبية ترد على القلب ولما كان الزمان لا بقاء له لا يمكننا إدراك ذلك الوارد بصفة تقوم ، وإنما ندركه من القبض والبسط . ففي القبض نشاهد الجلال وفي البسط نشاهد الجمال . والمحاسبة هي أن نحاسب أنفسنا عن كل ساعة تمر بنا هل مرّت بحضور أو تفرقة . فنعدّ الكل نقصاً ، ثم نستأنف العمل من أوله . (وقال قدّس الله سرّه) إنما ربطوا المحاسبة بالساعة ليتمكن تحصيل مقام أهل النفس في كونه مرّ بحضور أولاً ولو ربطوها بالنفس لم يكن إدراك هاتين الصفتين . (وقال قدّس الله سرّه) السالكون في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون فمنهم مَنْ يراها فيدفعها عنه قبل أن تصل اليه . ومنهم مَنْ يردّها بعد وصولها اليه ، ولكن قبل أن تستقر وتستحكم . ومنهم بعد أن تصل اليه وتتمكّن يسعى في صرفها وهذا لايجدي نفعاً تاماً . غير أنه إذا عرف السالك منشأ ذلك وسبب الإنتقالات اليه لا يخلو من فائدة . (وقال قدّس الله سرّه) معرفة كيفية التحول والإنتقال من حال الى حال في غاية الإشكال . (وقال قدّس

الله سرّه) الوقوف الزماني الذي هو وظيفة السالك أن يكون ناظرًا الى أحواله فيعلم مايجب لكل زمان من الشكر أو العذر ويعامله بما يليق به . (وقال قدّس الله سرّه) ينبغي أن يكون تلقين الذكر من الكامل المكمّل ليؤثّر وتظهر نتيجته . فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية . (وقال قدّس الله سرّه) لحضرة العزیزان وهو سيدنا الشيخ علي الراميتني طريقان للذكر سرّ وجرم . فاخترت منهما السرّ لأنه أقوى وأولى . (وقال قدّس الله سرّه) الوقوف العددي أول مراتب العلم اللدني . (وقال قدّس الله سرّه) لايمكن من الوصول الى حب أهل الله إلا من خرج عن نفسه . (وقال) مثلاً أهل الله مثلاً الصياد الحاذق الذي يدخل الحيوان الوحشي في شبكته ثم يوصله بحكمته الى مقام الإستئناس .

(وقال قدّس الله سرّه) لهذه الطريقة ثلاثة آداب : أدب مع الله سبحانه وتعالى وهو أن يكون المرید في الظاهر والباطن مستكملًا للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي مُعرضاً عن سواه بالكلية . وأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن يستغفر في مقام "فاتبعوني" ويرعى ذلك في جميع الأحوال وجوباً . ويعلم أنه صلى الله عليه وسلم واسطة الحق وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالي . وأدب مع المشايخ وهو لازم للطالبين لأنهم سبب في متابعتها صلى الله عليه وسلم الى مقام الدعوة الى الحق . فينبغي للمرید حضور أو غيبة أن يكون مراعيًا لأحوالهم ومقتديًا بهم متمسكًا بأذيالهم .

(وقال قدّس الله سرّه) على المرشد أن يعلم أحوال المرید في الأزمنة الثلاثة : الماضي والمستقبل والحال ، حتى يمكنه أن يريه . وعلى السالك أن يكون عند اجتماعه بأحد من أحباب الله حافظًا حال نفسه ثم يزين من صحبتة وزمنه السابق . فإن وجد في حاله انتقالاً من نقص الى كمال على حد قوله "أصبحت فالزم" فليجعل صحبة هذا العزیز فرض عين عليه . (وقال قدّس الله سرّه) كل من مال إلينا أو انتسب الى محبتنا بعيداً كان أو قريباً لابد أن نلحظ نسبته كل يوم وليلة ونمدّه من منبع عين الشفقة والتربية بالإمداد الدائم ، إن كان حافظاً لأحواله منقياً لطريق الإمداد من أذناس التعلقات وأوساخها . (وقال قدّس الله سرّه) في قوله في الحديث القدسي : "أنا جليس من ذكرني" إشارة الى بيان حال أهل الباطن . وفي قوله أيضاً : "الصوم لي وأنا أجزي به" إشارة الى الصوم الحقيقي وهو الإمساك عن السوى بكلية . (وقال قدّس الله سرّه) المراد من الأمة في قوله صلى الله عليه وسلم : "نصيب أمتي من نار جهنم كنصيب إبراهيم من نار نمرود" ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : "لا تجتمع أمتي على ضلالة" إنما هي أمة المتابعة . فإن الأمة على ثلاثة أقسام : أمة الدعوة ، أمة الإجابة ، أمة المتابعة . (وقال قدّس الله سرّه) قوله صلى الله عليه وسلم : "معراج المؤمن فيه" إشارة الى درجات الصلاة الحقيقية . وهي أن تكون أكبرية حضرة الحق حالاً للمصلي عند تحرّمه ويظهر الخضوع والخشوع على قلبه حتى يصل الى مرتبة الإستغراق . وقد كانت هذه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روي انه كان يظهر لصدره الشريف صوت يُسمع من خارج المدينة وأنه كان له أزيز كإزيز المرجل . (وسأله قدّس الله سرّه) أحد علماء بخارى عما يحصل به الحضور وللعبد في الصلاة . فقال له : بأكل الحلال ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام .

(وقال قدّس الله سرّه) في قوله الحديث : "ماكرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت" إشارة الى أنه ينبغي للسالك أن يكون الخلاء له ملأ وأن ما يفعله في الخلوة رعاية لخلق الخلق اليه بفعله بالخلوة . (وقال قدّس الله سرّه) ورد في الأخبار والآثار وكلام المشايخ الكبار . "إذا أحبّ الله عبداً لم يضره ذنب" . ومعناه أن العبد المحبوب إذا عرف العذر عن الذنب واعتذر به لم يضره . (وقال قدّس الله سرّه) الصلاة

والصيام والمُجاهدة هي طريق الوصول الى الله تعالى ولكن نفي الوجود عندنا أقرب . وهذا وإن كان لابد منه مع العبادة والمُجاهدة أيضاً إلا أنه لا يحصل إلا بترك الإختيار وعدم رؤية الأعمال .

( وقال الشيخ صلاح جامع مناقبه قدّس الله سرّه ) : كان سيدنا البهاء قدّس الله سرّه يوماً مع أصحابه فقال إن التعلق بالسوى حجاب عظيم للسالك ، ثم أنشد بالفارسية بيتاً ومعناه بالعربية :

إن التعلق بالسوى أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول

فخطر ببالي ساعته أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك . فالتفت في الحال اليّ وتبسّم ثم قال : أما سمعت قول الحلاج قدّس الله روحه :

كفرتُ بدين الله والكفر واجبٌ لديّ وعند المسلمين قبيحٌ

وكذلك قالوا المعتبر هو الإيمان الحقيقي وعرف أهل الحقيقة الإيمان بأنه ربط القلب بنفي جميع ماتولمت به القلوب من المضار والمنافم سوى الله عزّ وجلّ . أه .

( قلت ) لا يخفى أن الإيمان يرد لمعان منها الجزاء قال تعالى (مالك يوم الدين) وإن أهل الله لا ينظرون في أعمالهم إلا الى الله . قالت رابعة العدوية رضي الله عنها : "ماعدتك طمعاً في جنّتك ولا خوفاً من نارك ولكن لوجهك الكريم" . فصرف العبادة لغيره تعالى شركٌ خفي كما قال سيدنا الشيخ أرسلان الدمشقي : "كلك شرك خفي والكفر به على المخلصين واجب ، لأن من عبده لأجل الجنة والنار فقد عبد الجنة والنار وهو طاغوت وقد قال تعالى (ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)" . ومما يؤيد ذلك ما نقل أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه سأله شيخه : بماذا تلقى الله تعالى ؟ فقال له : بفقري . قال له : إذن تلقاه بالصنم الأعظم .

فعبادتهم عبودية محضة لا يشوبها شيء غير الله ، بل لا يرون فيها دخلاً حتى يطلبون الجزاء عليها لتحققهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) على أن (ما) نافية . وأما أهل الظاهر فقد تمسكوا بالأعمال ورتّبوا عليها الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ وأن العبد ينفعه عمله ويضره . ومشى الحق تعالى ذلك فقال لهم (جزاء بما كانوا يعملون) (ويجزئهم بأحسن الذي كانوا يعملون) فعدم النظر الى الأعمال عندهم قبيح ولعل هذا أحسن مما كتبه الشيخ صلاح هنا والله أعلم .

( وقال قدّس الله سرّه ) كل من وقّف لمخالفة نفسه وإن كان هو في حد ذاته عملاً قليلاً يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكر الله تعالى على توفيقه له ، فإن من قال "إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال" مراده مخالفة النفس . ( وقال قدّس الله سرّه ) كنا في أوائل الحال نرى أنفسنا مطلوبين والغير طالباً والآن قد عدلنا عن ذلك فإن المرشد الأعلى على الإطلاقات هو الله تعالى . فكل من أوجد فيه داعية هذا الطريق وأرسله إلينا يصل اليه من ماله فيه نصيب . ( ودُكر قدّس الله سرّه ) أنه سلم عليه أحد مريديه فلم يرد السلام فأغبر خاطره ، فقال : اعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بكليتي لسمام كلام الحق تعالى لي فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق . ( وقال قدّس الله سرّه ) قوله صلى الله عليه وسلم : "الكاسب حبيب الله" إشارة الى كسب الرضا لا كسب الدنيا . ( وقال قدّس الله سرّه ) كل من سلّم نفسه للحق تعالى وفوض أمره اليه فالتجاؤه لغيره شرك يُعفى عنه العامة دون الخاصة . ( وقال قدّس الله سرّه ) الوصول الى سرّ التوحيد ممكن في بعض الأحيان ، وأما الوصول الى سرّ المعرفة فمشكّل . ( وقال قدّس الله سرّه ) إذا شاكتُ رجلٌ الفقير شوكةً ، فعليه أن يعلم من أي وجه وصلت اليه .

( وقال قدّس الله سرّه ) ينبغي للطالب أن يصحب أصحابنا أولاً مدة حتى تحصل له قابلية صحبتنا .

(وقال قدس الله سره) إن طريقنا من النوادر وهي العروة الوثقى وماهي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنوية وإقتفاء آثار الصحابة الكرام . ولقد أدخلوني في هذا الطريق من باب الفضل فإني لم أشهد أولاً ولا آخراً إلا فضل الحق تعالى . والعمل فيه يحصل منه فتوح كثير لأن رعاية السنة السنوية من أعظم الأعمال . أه . وبه يعلم معنى قوله قدس الله سره "كل من أعرض عن طريقنا فهو على خطر من دينه" .  
(وسئل قدس الله سره) بماذا يصل العبد الى طريقكم ؟ فقال بمتابعة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (وقال قدس الله سره) ينبغي للمتوكل أن لا يرى نفسه متوكلاً وأن يخفي توكله في الكسب . (وقال قدس الله سره) إنا تحملنا في هذا الطريق الذلة فتفضل الحق علينا من محض إحسانه بالعزة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . (وبلغه) أن بعض الناس نسب اليه التكبر ، فقال كبريائنا من كبريائه . (ويشير قدس الله سره) الى ما أجاب به الجنيد حين سئل عن العارف فقال لون الماء لون إنائه . (وقال قدس الله سره) كل من جرى أخذ الإناء وأخذ الإناء كل من جرى .  
وأياته قدس الله سره بجران ما غترفنا منه إلا قطرة وما إقتطفنا منه إلا زهرة .

### أحوال كماله وكمال أحواله

(كان) قدس الله سره على أعظم قدم من تمام التجرد عن الدنيا وعلائقها ومحض الزهد وفرط الورع في أموره كلها ، خصوصاً في طعامه . فإنه كان يحتاط له احتياطاً عظيماً لا يأكل إلا من شعير وماش يزرعه ويتحرى في بذره وحرثه وسقيه وجوه الحل ، حتى صارت كبار العلماء والعباد يقصدون زيارته للتبرك بطعامه . ولقد بلغ بالتقشف عن الدنيا أنه كان يفرش منزله في الشتاء بأحلاس بالية وفي الصيف بخصفة قديمة . (وكان) يحب الفقراء والفقر ويحض أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدل بقوله صلى الله عليه وسلم : "العبادة تسعة منها طلب الحلال وواحد سائر العبادات" . وكان يقول كل ما حصل لي فهو من ذلك . (وكان) يصنع الطعام للفقراء بيده المباركة ويخدم مائدتهم بنفسه الشريفة ، وإذا اجتمعوا للطعام يوصيهم بالمحافظة على الحضور ويؤكد عليهم في ذلك أشد التأكيد . وكلما أراد أحدهم أن يتناول لقمة مع الغفلة ينبهه عن طريق الكشف عليه ويمنعه من أكلها ويقول "صدور الأعمال الصالحة إنما هو من الطعام الحلال إذا أكل مع الحضور ولا يحصل العبد الحضور في جميع الأوقات لاسيما أوقات الصلوات إلا بهذا" .

(وكان) إذا قدم اليه طعام صنع في حالة غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لا يمد يده اليه ولا يدمع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً . (روي) أنه ذهب ذات مرة الى غزيبوت فقدم اليه أحد مريديه طعاماً ، فقال له : كان صانع منذ عجت عجينه الى أن أتم طبخه في حالة غضب فلا يليلق بنا أن نأكل منه ، فإن كل ما جعل في مثل هذه الأحوال لا خير فيه ولا بركة ، بل يجد الشيطان فيه سبيلاً فكيف ينتج ؟

(ولما توجه الى هراة) صنع الملك حسين رحمه الله وليمة عظيمة دعا اليها أعيان مملكته ومشايخ حضرته وعلماءها إحتفاءً به قدس الله سره ، ووقف بنفسه على المائدة وقال : كلوا من هذا الطعام فإنه حلال إتخذته من ميراثي من أبي وأنا ضميم عهدته يوم القيامة . فابتدروا يأكلون والشيخ لم يمد يده . فالتفت شيخ الإسلام قطب الدين رحمه الله وكان قدوة أهل زمانه وقال له : لم تأكل ؟ فقال له : إن لي حاكماً عرضت عليه هذه القضية فقال لك فيها وجهات إن لم تأكل وسألوك تقل حضرت سفره الملك ولم

أكل وإن أكلتَ سالوك لم أكلتَ فماذا تقول؟ فتأثر شيخ الإسلام من هذا الكلام تأثراً عظيماً وحصل له حال غريب وأمسك عن الطعام وطلب من السلطان أن يسامحه منه . فتحيّر الملك وقال له : مانصنم بهذه الأطلعمة؟ قال : حتى نسالَ حضرة البهاء . فقال قدّس الله سرّه : إن كان فيه شبهة ففرّقه على الفقراء وإن كان حلالاً فلاشك أن في هراة كثيراً ممن له أشدّ الإحتياج الى لقمة واحدة منه فينبغي أن يُصرف اليهم . فعجب الحاضرون منه قدّس الله سرّه .

(وكان) في سرخس فارسك الملك حسين رحمه الله اليه رسولاً ومعه كتاب "إنا مشتاقون لصحبة الفقراء فماذا تأمرون؟" وكانت عادته لا يذهب الى الملوك ولكن رأى أنه يحصل بمجيء الملك الى سرخس وطوس زحمة عظيمة على الناس فرحمةً بهم توجه الى هراة . فلما وصل اليها نزل في زاوية سيدنا الشيخ عبدالله الأنصاري رضي الله عنه فوجد الملك والخدم والحشم والأعيان والعلماء جميعاً ينتظرونه . فاستقبلوه أعظم استقبال وأدخله الملك الى داره وجلس بين يديه . وبعد برهة وضعوا مائدة عظيمة جامعة لأفخر الأطلعمة وأثمنها . فأخذ الحاضرون يأكلون والشيخ لم يأكل . فقال له العلماء : إن في هذه الأطلعمة لحم صيد وهو لا شبهة فيه فكلوا منه . فقال : لا يليق بي أن أكل على موائد الملوك وأنا معتقد جماعة وهذا واحد منهم حاضر فإن مددت يدي لا يدرون من أي طعام أكلت . فقالوا : إن صفة الفقر موروثة لكم . قال : لا بل أدركتني جذبة من جذبات الحقّ توازي عمل الثقلين فتشرفت بهذه السعادة . فقال له الملك : طريقتكم فيه ذكر الجهر والخلوة والسماح . قال : لا . قال : فماذا طريقتكم؟ قال : هو كما قال سيدنا الشيخ عبدالخالق العبدواني قدّس الله سرّه العزيز "الخلوة في الجلوة" . قال : مامعناه؟ قال : هو أن يكون العبد في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحقّ . (وأشدد بالفارسية) بيتاً عربيّ في "المناقب" فقال :

ففي باطنك كصاحياً غير غافل وفي ظاهر خالط كبعض الأجنبي

قال الملك : أويمكن هذا؟ قال : نعم فإن الله تعالى يقول (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) . فقال له الملك : إن بعض السادات يقول الولاية أفضل من النبوة فأى ولاية أفضل من النبوة؟ قال : ولاية النبي أفضل من نبوته .

ثم ودّع الملك ورجع الى الزاوية فمالبت أن أرسل اليه الملك مع نفر من خواصه أطباقاً عليها أنواع التحف والتمسوا منه أن يقبلها ، فردّها وقال لهم : إني منذ منّ الله عليّ بعنايته لم يقدر أحد في هذا الحال أن يجعل ظهر يدي الى الأرض فإنصحوه أن لا يحدث نفسه بمثل هذا . ثم بعد قطع من الليلك جاءه عبيد زوجة الملك بهدية مشتملة على قميص ومنديك وغير ذلك وذكروا له أن سيدتهم قد خالطت القميص بيدها إحتفاءً به ورجاء قبوله . فردّها فكرروا عليه الإسترحام بقبولها وألحوا في ذلك . فما قبل منها شيئاً ولم يكن لابساً يومئذٍ إلا ثوباً من صوف وعمامة وكوشاً قديماً . فكانت هيئته هذه سبباً لرسوخ محبة الملك وأهل هراة لجنابه .

(وكان) يصوم أكثر أيامه فإذا جاءه ضيف وكان عنده ما يكرمه به يأكل معه ويقول سرّاً لأصحابه إن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا لا يفرقون إلا عن ذوات . وقال الشيخ أبو الحسن الخرقاني في كتابه "أصول الطريقة ووصول الحقيقة" إن فضل موافقة الإخوان فيما ليس بمعصية ليس أقلّ ثواباً من صوم النفل ومن آداب الصوم إخفاؤه .

(وأهديت) اليه سمكة مطبوخة والفقراء حاضرون وفيهم شاب عابد زاهد كان صائماً فقال له : وافق

إخوانك وافطر . فلم يقبل ، فقال له : افطر وأنا أهبك صوم يوم من شهر رمضان . فأبى فقال له : افطر وأنا أهبك صيام أيام شهر رمضان . فأبى ، فقال : وقم نظير ذلك مع سلطان العارفين أبي يزيد رضي الله عنه فاتركوه فإنه من المبعدين . فنظراً لإستخفافه بأوامر أهل الله تعالى ابتلاه الله تعالى بعد ذلك بالإنهماك في الدنيا والإعراض عما كان فيه من سعادة العبادة .

(والذي وقم لأبي يزيد) هو أنه زاره سيدنا الشيخ أبو تراب النخشي فقدم له الخادم طعاماً فقال له أبو تراب : اجلس وكلّ معي . فقال : إني صائم . فقال : كل ولك ثواب صيام سنة . فأبى ، فقال : كلّ ولك صيام سنتين . فأبى ، فقال أبو يزيد : دعوا من سقط من عين الله . فإنقطع بعد مدة يسيرة وساءت أحواله حتى سرق سرقة قطعت بها يمينه .

(وكان قدس الله سره) إذا زاره أحد أحبابه تولى خدمته بنفسه واعتنى به كل الإعتناء وخدم دابته أحسن خدمة وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف همٌّ منها لقوله صلى الله عليه وسلم : " هم المؤمن دابته وهم المنافق بطنه " . ويقول نقل عن العريزان قدس الله سره أنه كان يبتيديء أولاً بخدمة دابة ضيفه ويقول إنها كانت سبباً لوصله الي وتشرقي به .

(وكان قدس الله سره) إذا أتى الفقراء الى منزله يأتي بالأحجار فيمسم بها وجهه النضير ثم يهينها لهم للإستنجاء ويقول " إن لهؤلاء منة على روعي " . (وكان قدس الله سره) إذا زاره أحد من أصحابه يسأل عن أهله وأولاده ويلاطف كل منهم بما يناسبه ويبحث عن متعلقاته ودوابه حتى دجاجاته ويظهر الشفقة كل بحسبه ويقول كان أبو يزيد رضي الله عنه إذا رجم من الإستغراف يفعل هكذا . (وكان قدس الله سره) مع كمال تجرده وزهد دابه البذل والإيثار فإذا أهدى اليه أحد شيئاً قبله وقابله بأضعافه تأسياً به صلى الله عليه وسلم . وبركته سرت هذه الأخلاق الكريمة الى أصحابه قدس الله أرواحهم .

### كراماته وإكراماته

(قال قدس الله سره) خرجت يوماً أنا ومحمد زاهد الى الصحراء وكان مريداً صادقاً ومعنا المعاول نشغل بها فمرت بنا حالة أوجبت أن نلقي المعاول ونتذاكر في المعارف . فما زلنا كذلك حتى إنجر الكلام بنا الى العبودية ، فقال لي : الى أي مدى تنتهي العبودية ؟ فقلت : تنتهي الى درجة إذا قال صاحبها لأحد مت مات في الحال . قال ثم وقع لي أنني قلت له ساعتئذ مت فمات حالاً واستمر ميتاً من الضحى الى نصف النهار . وكان الوقت حاراً فإنزعجت لذلك وتحيرت كثيراً . ثم أويت الى ظك قريب منه فجلست وأنا في حيرة تامة ثم رجعت الى عنده ، فنظرت اليه فوجدته قد تعير من فرط الحر . فإزددت قلقاً . فألقي الي وقتئذ أن قل (يامحمد احي) فقلت له ذلك ثلاث مرات . فأخذت تسري فيه الحياة شيئاً فشيئاً وأنا أنظر اليه حتى عاد الى حاله الأول . فأتيت حضرة السيد أمير كلال فقصت عليه القصة ، فلما ذكرت له أنه مات وتحيرت من ذلك قال لي : يا ولدي لم لم تقل له احي . فقلت له : لما ألهمت ذلك قلته فعاد حياً .

(ونقل الشيخ علاء الدين العطار) أنه لما قدم ماوراء النهر سلطات عبدالله قرغت الى بخارى عزم أن يخرج الى الصيد في نواحي بخارى وأن يخرج الناس معه . وكان الشيخ في قرية من قرى بخارى فلما خرج أهل تلك القرية خرج معهم فابتدروا الصيد . وأما الشيخ قدس الله سره فقد طلع الى ربوة قريبة منهم وأخذ يرقم ثوبه . فخطر بباله وقتئذ أن الأولياء عزتهم بالله فلذلك وضعت السلطين رؤوسها على أعتابهم . فما تم هذا خاطر إلا وأقبل عليه فارس متزين بزينة الملوك . فلما وصل عنده ترجل وجاء مع التعظيم

التام والخضوع الوافر . فسلم على الشيخ قدس الله سره ووقف متادباً في ضح الشمس نحو ساعة فرقم الشيخ رأسه اليه وقال : بماذا كنت تشغل ؟ قال : كنت مشغولاً بالصيد فوجدتني قد جذبت الى هذا الجانب بغير إختياري فلما وصلت الى هذا الموضع رأيتكم فمال قلبي اليكم ميلاً تاماً . ثم جعل يتدلك له ويتواضع اليه ويطلب الإمداد منه . فقال له الشيخ قدس الله سره : أتركني فإني فقير كنت في هذه القرية فأخرج عبدالله قرزغ الناس للصيد فرافقتهم فلما لم أكن أصلح لذلك جئت الى هنا . فقال له : لكن ياسيدي أنتم قد صدموني . فقام الشيخ ولبس ثوبه وتوجه الى جهة الصحراء فتبعه الرجل ولم يزل يمشي والرجل يمشي خلفه بتمام الإنكسار حتى نظر اليه الشيخ نظرة هيبية وجلال فوقف مكانه ولم يستطع أن يتبعه أبداً .

( وروي ) عن بعض أصحابه أنه قال كنت في خدمته وهو في بلدة مرو ، فاشتقت لرؤية أهلي في بخارى وكان بلغني أن أخي شمس الدين قد مات ولم أجسر على الإستئذان منه . فخرج لصلاة الجمعة يوماً فلما رجع من المسجد ذكر له الأمير موت أخي فقال له : كيف هذا الخبر وهو حي وهذه رائحته تفوح بل أجد رائحته قريبة جداً . فما تم كلامه إلا وقد وصل أخي من بخارى وجاء فسلم على الشيخ قدس الله سره . فقال : ياأمير هذا شمس الدين فحصل للحاضرين حال عظيم .

( وقال ) سيدنا الشيخ علاء الدين العطار كان قدس الله سره في بخارى وكان المولى عارف أحد أعزائه أحبائه في خوارزم . فكان يتكلم يوماً على صفة البصر مع أصحابه ، فقال في أثناء كلامه "الآن خرج المولى عارف من خوارزم الى جهة السراي ووصل الى الموضع الفلاني من طريق السراي" . ثم بعد لحظة قال خطر في بال المولى عارف أن لا يذهب الى السراي وهامو قد رجع الى جهة خوارزم . فتيقّد أصحابه هذه القصة بتاريخها . فبعد مدة قدم المولى عارف من خوارزم الى بخارى فأخبروه بما ذكر الشيخ قدس الله سره . فقال لهم هذا هو الذي وقع لي بعينه فتعجب أصحابه من ذلك غاية العجب .

( وقال ) مولانا الشيخ عبدالله الخندي كان سبب صحبتي له قدس الله سره انه حصلت لي قبل ذلك بسنين لوعة محرقة وأنا في (خنجد) سلبت قراري وتعطشت للدخول في هذا الطريق . فخرجت من خنجد هائماً على وجهي حتى وصلت الى ترمذ . فذهبت الى زيارة ضريح العارف الكبير محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس الله سره وأنا في غاية الإضطراب . ثم أتيت مسجداً على جانب نهر جيحون ونمت فيه فرأيت شيخين مهايين . فقال لي أحدهما هل تعرفنا أنا محمد بن علي الترمذي وهذا الخضر عليه السلام ، لا تتعب نفسك ولا تضطرب فإنه ما أن أوان ما تريد ولكن ستصل اليه بعد اثنتي عشرة سنة في بخارى على يد الشيخ بهاء الدين الذي هو قطب الزمان وقتئذ . ثم أفقت وقد سكن ما بي فرجعت الى خنجد . ثم أنني كنت ماشياً في السوق فإذا أنا بتركيبي دخل المسجد فتبعتهما فجلسا يتحدثان فأصغيت لحديثهما . فسمعتهما يتكلمان عن أحوال الطريق فمال قلبي اليهما . فأسرعت فأتيتهما بطعام ، قال أحدهما للأخر هذا فيه لوعة يليف أن يكون في خدمة ولد سلطاننا الشيخ إسحاق . فلما سمعت ذلك استفسرت منهما عن ذلك الشيخ فأخبراني أنه في نواحي خنجد . فذهبت اليه في الحال فإلطفني ملاطفة تامة وكان له ولد عليه آثار النجابة والإخلاص . فقال لوالده يوماً : إن هذا المريد منكسر فينبغي أن تصطفوه وتتخذه صاحباً . فبكى الشيخ وقال له : يا ولدي هذا من أولاد الشيخ بهاء الدين ليس لي عليه حكم . فعند ذلك رجعت الى خنجد أنتظر زمان ظهور هذه الإشارة . فما مضت مدة إلا ورأيت قلبي قد انجذب الى جهة بخارى

فلم أقدر أن أتأخر لحظة فسافرت إليها . فعندما وصلت قصدت توأ حضرة الشيخ قدّس الله سرّه فلما تشرّفت برؤيته قال : اني أنست يا عبدالله الخجدي بقي ثلاثة أيام حتى تتم مدة الإثنتي عشرة سنة . فأخذني من هذه الإشارة حال غريب وطلع صبح سعادة محبته في أفق قلبي ولم يفهم الحاضرون ماأشار اليه فسألوني عنه . فلما أذقتم الخبر امتلأوا نضرة وسروراً ثم أقبل بالعناية التامة عليّ وقبلني أن أكون عبداً له قدّس الله سرّه .

( وقال سيدنا الشيخ علاء الدين العطار ) كنت عند حضرته في يوم غيم ، فقال لي : هل دخل وقت الظهر ؟ فقلت له : لا ، فقال : أنظر الى السماء . فنظرت فلم أجد حجاباً أصلاً ورأيت جميع ملائكة السموات مشتغلين بصلاة الظهر . فقال : ماتقول هل صار وقت الظهر ؟ فخرجت مما صدر مني واستغفرت منه وبقيت مدة وأنا أجد لذلك في نفسي ثقلاً عظيماً .

( وروي عن أصحابه أنه قال ) أرسلني قدّس الله سرّه يوماً في حاجة فلما رجعت رأيت المريدين وقوفاً في البستان الذي فيه مرقد الشريف الآن وبأيديهم المعاول والمكاتل فداخلني أشدّ الخوف وأخذتني حمى نافض ، ثم بعد ساعة جاء الشيخ قدّس الله سرّه من منزله فقال لي : أراك متغيّراً . فقلت له : منذ وصلت الى هنا إعتراني خوف شديد وماعلمت سببه . فقال : سل الأمير حسين عنه . فسألته فقال : سبب ذلك أنّ المريدين أتوا من الصباح لنقل التراب ولم تكن معهم . قال ثم عاد قدّس الله سرّه الى المنزل لإصلاح طعام المريدين فلم نلبث أن رأينا رجلاً شاباً جاء من جهة منزله الى جهتنا وهو يطير في الهواء ويثب من محل الى محل كالطائر . فلما دنا منا مرّ فوق رؤوسنا كذلك . فطفقتنا جميعاً ننظر اليه وعزمنّا أن ندم ما نحن فيه من العمل ونتأثره . فبينما نحن كذلك إذا بحضرة الشيخ قدّس الله سرّه قد خرج من المنزل وأشار إلينا أن على رسلكم حتى أجيء اليكم . فحصل لنا رعب عظيم من كلامه . فلما أن جاء ورأى حالنا التفت اليّ وقال : هذه حالك التي إعترتك أولاً وقد إنعكست عليهم . ( ثم قال ) وأما الشاب الذي كان يطير فهو شخص كنت قد رأيته وأنا ذاهب من (نصف) الى بخارى يطير فلما دنوت منه قلت له "كيف تركت صحبة رجال الغيب ووقعت في الألم والحسرة؟" . فقال أنا من البلد الفلاني وقد أدخلوني في صحبتهم فكنا ذات يوم جلوساً على جبل فمرّ بخاطري ذكر الزوجة والولد فكوشفوا بهذا الخاطر فقصدوا أن يذهبوا ويتركوني . فتمسكت في الحال بذيك واحد منهم وسألتهم أن يوصلوني الى محل معمور فاتوا بي الى هذا المكان" . قال قدّس الله سرّه فجنّت به من نفس الى بخارى منذ ستة أيام ووضعت في منزلي ، فلما ذهبت لأهّيء لكم الطعام استأذنتني بالذهاب فأذنت له ثم أردت أن أتيكم بالطعام فرأيت ما حلّ بكم من التفرقة وتشتيت الخاطر فخرجت مسرعاً وأشرت اليكم بما أشرت . ثم قال وقد ظهر عليه تجلّي الجلا : ينبغي للمريد أن يكون راسخ القدم لايزيحه كل شيء ، عما هو فيه ولايتبدل إعتقاده في شيخه بوجه من الوجوه أصلاً حتى لو رأى الخضر عليه السلام لايلتفت اليه . وقال وقد غلبت عليه الهيبة والسطوة مرتبة الطيران سهلة فإن الذباب ليطير في الهواء أيضاً . ثم أمر الأمير حسين رحمه الله وبقية المريدين أن يملأوا المكتل تراباً وأن يتركوه . ففعلوا وأشار الشيخ الى المكتل فمشى بنفسه وأفرغ التراب ورجع الينا بنفسه ، وفعل ذلك مراراً . فقال قدّس الله سرّه هذه الأمور وأمثالها لايعتبار لها عند خواص أهل الله تعالى .

( وحكى سيدنا علاء الدين ) أن الشيخ تاج الدين أحد أصحاب الحضرة البهائية كان إذا أرسله الشيخ الى حاجة من قصر العارفان الى بخارى يعود ببرهة قليلة وذلك أنه كان إذا غاب عن أعين المريدين يطير في الهواء .

قال وأرسلني يوماً في أمر الى بخارى فذهبت على هذه الكيفية فوجدت الشيخ في طريقي فرأني على هذه الحالة فسلبها مني . فلم أقدر بعد ذلك أن أفعلها أبداً .

(وقال الشيخ خسرو) وهو من أجلاء أصحابه قدس الله سره قصدت يوماً زيارة الشيخ قدس الله سره فوجدته واقفاً في البستان على حافة الحوض يتكلم مع شيخ لم أعرفه . فلما سلمت عليه إنصرف ذلك الشيخ الى ناحية من نواحي البستان . فقال لي قدس الله سره "هذا الخضر" مرتين . فلم أتكلم بل سكتُ وبعون الله تعالى لم أجد في نفسي ميلاً اليه لا ظاهراً ولا بائناً . ثم بعد يومين أو ثلاثة رأيته أيضاً في بستان الخانقاه يتحدث مع الشيخ قدس الله سره وبعد مضي شهرين لقيته أيضاً في سوق بخارى فتبسم لي فسلمت عليه فعانقني وباسطني وسألني عن أحوالي . فلما رجعت الى قصر العارفان وتمثلت في أعقاب الشيخ قدس الله سره قال لي إنك إجتمع بالخضر في سوق بخارى .

(وسافر) بعض العلماء مع جماعة من مريدي الشيخ قدس الله سره الى العراق قال فلما وصلنا الى سمنان سمعنا ان هناك رجلاً مباركاً اسمه السيد محمود من مخلصي الشيخ . فقصدنا زيارته جميعاً وسألناه عن سبب اتصاله بالشيخ . فقال "كنت رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم أو رجلاً جليلاً من الأكابر وهو في مكان جميل والى جانبه رجل مهاب فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم ، أو لذلك الرجل الجليل ، مع التواضع والأدب اني لم أتشرف بصحبتك ولم أحض ببركة زمنك والإجتماع بكم وفاتتني هذه السعادة فماذا أصنع ؟ فقال لي ان أردت أن تنال بركتي وفضل رؤيتي فعليك بمتابعة بهاء الدين وأشار الى ذلك الرجل الذي الى جنبه وماكنت قد رأيت الشيخ قبل ذلك . فلما أفقت قيّدت اسمه وحليته على ظهر كتاب . ثم بعد مدة مديدة كنت جالساً على دكان بزاز فرأيت رجلاً عليه نور وهيبة وقد جاء وجلس على الدكان . فلما رأيت وجهه تذكرت تلك الطيبة فحصل لي حال عظيم . فلما سرى عني سألته أن يشرف منزلي فأجاب الى ذلك وقام يمشي أمامي وأنا خلفه فلم يلتفت حتى وصل الى منزلي وهذه أول كرامة شاهدتها منه ، فإنه لم ير منزلي قبل أصلاً . ثم لما دخل قصد حجرة خاصة بي وكان فيها خزانة كتب فمد يده الشريفة واستخرج من بينها كتاباً وأعطاني إياه وقال : ماذا كتبت على ظهره ؟ فإذا هو الكتاب الذي كتبت على ظهره الرؤيا وتاريخها وإذا لها سبع سنين . فصار لي من إطلاع على ذلك حال أعظم من الأول حتى إذا إنجلي عني ما جده قابلي باللطف وقبلني أن أكون من زمرة أصحابه وشرّفني بسعادة خدمة بابه .

(ودعاه بعض أصحابه) في بخارى فلما أدت المغرب قال للمولى نجم الدين دأرك : أتمتلك كل ماأمرك به ؟ قال : نعم . قال : فإن أمرتك بالسرقة تفعلها ؟ قال : لا . لأن حقوق الله تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد . فقال : إن لم تتمتلك أمرنا فلا تصحبنا . ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً وضاعت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم على أن لا يعصى له أمر . فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وساروا الى محلة باب سمرقند . فأشار الشيخ الى بيت وقال أخرجوا جداره وأدخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءاً أمتعة فأتوا بها ، ففعلوا . ثم ساروا الى زاوية هنالك وجلسوا . فبعد ساعة سمعوا نبح الكلاب . فأرسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه الى ذلك البيت فوجدوا السراق قد خرقتوا جداراً آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئاً ، فقالوا لبعضهم جاء قبلنا سراق وأخذوا ما فيه . فعجب أصحاب الشيخ قدس الله سره من ذلك الأمر . وكان صاحب البيت في بستان فأرسل الشيخ صباحاً اليه الأمتعة مع مريد وأمره أن يخبره أنّ الفقراء

مرّوا على بيتك فإطلعوا على هذه القضية فخلّصوا الثياب من السارقين ثم نظر الى المولى نجم الدين وقال له : لو امتثلت الأمر لوجدت حكماً جمّة .

(وروي) عن بعض أصحابه أنه قال : "زارني الشيخ قدّس الله سرّه يوماً فخلّجته خلّجاً عظيماً إذ لم يكن وقتنذ عندي فأتيت بحمل دقيق ، فقال لي : اخبز من هذا الدقيق ولا تخبر أحداً بقلّته أو كثرته . فأقام عندي عشرة أشهر والمريدون والأحباب يتواردون الى منزلي لزيارته دائماً ونحن نخبز لهم من هذا الدقيق . كل ذلك وهو بحاله ثم اني بعد ذلك أخبرت أهلي وخالفت أمر الشيخ فزالت البركة وانتهى الدقيق بأقرب وقت . فكان ذلك أعظم سبب لقوّة يقيني بكمال ولايته وعظيم كرامته" .

(وقال الشيخ محمد زاهد قدّس الله سرّه) كنت ايان السلوك جالساً معه قدّس الله سرّه وكان ذلك في فصل الربيع فباشتتمت نفسي البطيخ فطلبتّه منه وفي القرب منا ماء جارٍ ، فقال : اذهب الى ذلك الماء . فذهبت فوجدت فيه بطيخة قطف ساعتها فحصل لي تمام الإعتقاد بحضرتّه نفعنا الله ببركته .

(ونقل عن بعض أصحابه) أنه قال لما تشرّفت بصحبته قدّس الله سرّه كان الشيخ شادي أحد أجلاء أصحابه كثيراً ما يعظني وينصحني ويؤدبني ، فما أمرني به أن لا يمدّ أحد منا رجلي الى جهة يكون فيها الشيخ قدّس الله سرّه . فأتيت يوماً من غزيوت الى قصر العارفان في وقت شديد الحرّ لزيارته . فأويت الى ظل شجرة في الطريق فإضطجعت فجاء حيوان فلدغني في رجلي مرتين فقمتم وتألّمت ألماً شديداً . ثم اضعجت فعاد مرّة ثالثة كذلك . فجلست أتفكّر في سبب ذلك مدة حتى تذكرت نصيحة الشيخ شادي ووجدت اني قد مددت رجلي الى ناحية قصر العارفان وكان الشيخ وقتنذ ثمّ . فعلمت أن ذلك تاديب لي على ما فرط مني .

(وذكر الشيخ علاء الدين) أنه قدّس الله سرّه أمر الأمير حسينا أن يجمع طباً كثيراً وذلك في فصل الشتاء فلما تمّ ما أمر به أرسل الله في اليوم الثاني منه ثلجاً عظيماً بحيث نزل أربعين مرة . ثم أن الشيخ قدّس الله سرّه سافر وقتنذ الى خوارزم وفي خدمته الشيخ شادي . فلما بلغا نهر حرام أمره أن يمشي على الماء . فخاف الشيخ شادي فأمره غير مرّة فلم يفعل . فنظر اليه نظرة عظيمة غاب بها عن نفسه برهة فلما أفاق وضع قدمه على وجه الماء ومشى الشيخ خلفه . فلما جاوزه قال أنظر هل ابتلّ شيء من خفك أولاً . فنظر فلم يجد فيه بللاً أصلاً بقدره الله تعالى .

(وقال بعض أصحابه) سبب محبتي له وصحبتني معه قدّس الله سرّه اني كنت يوماً في سوق بخارى في دكان لي فاتى قدّس الله سرّه وجلس الى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب أبي يزيد الى أن قال "ومما ذكر في مناقبه أنه قال لو مسّ طرف ثوبي أحداً صار محباً لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي وأنا أقول لو حرّكت كمي لجلت جميع أهل بخارى كبيرهم وصغيرهم والهيت بي هائمين بحبي يذرون البيت والدكان ويتبعوني" . ووضع يده المباركة على كمي فوقم بصري حالتنذ على كمي فاعتراني حال غيب فيه عن نفسي ولبثت زمناً طويلاً كذلك . فلما أفقت استولت عليّ سلطنة محبته وتركت البيت والدكان ولزمت خدمته .

(وعن بعض أصحابه) أنه قال سألته قدّس الله سرّه يوماً أن يدعو الله لي أن يأتيني غلام فدعا لي فولد لي ولد ببركة دعائه ثم مات فذكرت له ذلك ، فقال : إنك طلبت منا أن يأتيك ولد وقد أعطاك الله ذلك وأخذته ولكن نرجوه تعالى أن يعطيك ببركة دعاء الفقراء ولديّن يعمرات مدة طويلة فبعد أيام جاءني غلامان

فمرض أحدهما فأخبرته . فقال : هو ولدي فما لك والإشتغال به فإنه يمرض كثيراً ثم يشفى . وكان كما ذكر رضي الله عنه .

( وعن الشيخ عارف الديك كراني ) أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال قدّس الله سرّه أنه قال ، ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان فلما رجعنا الى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها . فتكلم منهم على الشيخ رضي الله عنه فنهيناه وقلنا له إنك لاتعرفه ولايجوز لك أن تسيء الظن والأدب مع أولياء الله تعالى . فلم يتفه فجاه زنبور ودخل فمه حلاً ولدغه فتالم الماً شديداً لم يستطمع معه صبراً . فقلنا له هذا من سوء أدبك مع الشيخ . فبكى بكاءً كثيراً ثم تاب وأتاب فبراً في الحال .

( وحاصر ) عسكر صحراء قباغات مدينة بخارى مرة فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير . فأرسل أميرها اليه قدّس الله سرّه نفراً من خاصته بأننا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية وفسد كل ما دبّرناه وتقطعت بنا الأسباب ولم يبق ملجأ نلتجىء من هؤلاء الظلمة إلا أنتم فتضرعوا الى الله تعالى أن يخلص المسلمين من أيديهم ، فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد . فقال لهم نتضرع اليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله . فلما طلعت الفجر أخبرهم بأني بَشَرْتُ بانجلاء البلاء بعد ستة أيام فبَشَرُوا أميركم بذلك . فسُرَّ أهل بخارى سروراً تاماً وكان كما ذكرنا فإنه بعد ستة أيام رفع عسكر الأعداء الحصار عن البلدة وانجلوا عن آخرهم .

( وعن بعض أصحابه ) أنه قال تمثّلت مرة بين يدي حضرته قدّس الله سرّه فما مضت لمحّة إلا وقد فقدت الحال التي كنت أجدها من قبل . فقلت في سري لعلي الشيخ رضي الله عنه سلبها مني . فماتم هذا الخاطر إلا والتفت الى أحد أصحابه وقال : " كل ما عندنا فهو حلالٌ لكم وأما صيد الكلب غير المعلّم فهو حرام لايجوز أكله " .

( وقال الشيخ شادي ) لما سعدت بمحبة الشيخ قدّس الله سرّه سهل عليّ البذل والإيثار فاجتمع عندي يوماً مائة دينار . فتقدم اليّ أهلي في إدارها فلضعف اليقين وافقتهم . ثم ذهبت الى بخارى فاشتريت خفاً كيميخياً وغيره ثم رجعت قاصداً زيارته قدّس الله سرّه في قصر العارفان . فلما تمثّلت بين يديه قال : ذهبت الى بخارى . فقلت : لمصلحة عرضت لي . فقال : إئتني بالخفّ الكيمختي وبقية ما اشتريته . فأتيت بها سريعاً ، فقال : وأحضر بقية المائة دينار . فجنّته بما فنظر اليّ وقال : لو شئت لجعلت لك الجبل بحول الله عزّ وجلّ ذهباً ولكن لاينبغي لنا الإلتفات في عالم الفناء الى مثل هذه الأشياء . فإن نظر هذه الطائفة من وراء هذا العالم . فكيف تدخّر وأنت تعلم أن ما كان لك لاينقص منه شيء ، إنني أعظك أن تعود لمثل هذا .

( ولقد ) أحببنا الإقتصار على التيمم بهذا المقدار من كراماته الكبار ومنّ أحبّ الزيادة على ذلك فعليه بالمناقب فإنه يرى العجائب هنالك .

### ندارة حاله عند إرتحاله

( قال المولى محمد مسكين ) وكان من أكابر أصحابه : توفي أحد الصالحين في بخارى فذهب الشيخ قدّس الله سرّه لتعزية أهله فأظهروا هم وأصحابهم جزءاً عظيماً وأفعلاً كرهها الحاضرون ونهوهم عنها وعابوها عليهم . فقال قدّس الله سرّه وقتئذ : " متى حضرني الموت أنا أعلم الفقراء كيف يموتون " . فلم يزل هذا الكلام في مخيلتي حتى مرض الشيخ مرضه الأخير فخرج الى الرباط ودخل خلوته وطلق أصحابه يتواردون

عليه ويلزمونه وهو يوصي كلاً منهم بما يناسبه . ثم رفع يده بالدعاء فدعا ثم مسح بها وجهه ثم لقي ربه .

(وقال الشيخ علي الداماد) وكان من خدمة الشيخ قدس الله سره : "أمرني الشيخ بحفر قبره الأنور فلما أتت أمته وقد خطر لي انه من يخلفه في قومه فرغم رأسه المبارك وقال- لم يزل الأمر على ما ذكرنا في طريق الحجاز إن من أحب متابعتي فليتبم محمد پارساً- ثم انتقل رضي الله عنه في اليوم الثاني منه" .  
(وقال الشيخ علاء الدين العطار) كنا نقرأ عند احتضار الشيخ قدس الله سره سورة (يس) فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطم فاشتغلنا بالكلمة الطيبة . فتوفي قدس الله سره . وذلك ليلة الإثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، وسنه أربع وسبعون سنة . ودُفن في بستانه في الموضع الذي أمر به . وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة ودحو البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً . وأجرى الملوك عليه أوقافاً جمّة وبالغوا في الإعتناء به وترفيه شأنه . ولم يزل كذلك الى يومنا هذا يُستغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ الى أبوابه نفعنا الله به .

(قال قطب أهل العزلة بركة أهل الزمان الشيخ عبدالوهاب قدس الله سره) لما دُفن حاضرة الشيخ رضي الله عنه فُتح من جهة وجهه المبارك له طاقة الى الجنة . كما ورد القبر روضة من رياض الجنة فدخلت عليه حورياتان وسلمتا عليه وقالتا "نحن منذ خلقنا لك أكرم الكرماء ننتظر خدمتك" . فقال قدس الله سره إني عاهدت الله تعالى أن لا ألتفت الى شيء من الأشياء مالم أتشرف برؤيته بلا كيف ولا مثال وأشفع بجميع من إتصل بي وسمع مني القول الحق وعمل به .

(وعن أحد فضلاء أصحابه) أنه قال بلغني وأنا في بلاد الكش خبر وفاته قدس الله سره فحزنت حزناً عظيماً وأضمرت في نفسي أن أعود الى المدرسة . ففي تلك الليلة رأيته رضي الله عنه في المنام وهو يقرأ قوله تعالى (أفان مات أو قُتل إنقلبتم على أعقابكم) . ويقول قال زيد بن حارثة . ثم انتبهت وقد فهمت ما أشار اليه بالآية الكريمة من أنه قدس الله سره لا فرق في إمداده لأصحابه بين حياته ومماته . ولم أفهم معنى قوله "قال زيد بن حارث" . ولم أزل أتفكر في ذلك مدة حتى رأيته قدس الله سره مرة ثانية في المنام ، فقال قال زيد بن حارث "الدين واحد" فعلمت من ذلك أن ما كان عليه قدس الله سره هو الحق وأن أهل الله لا يدلون في حياتهم وبعد مماتهم إلا على الطريق المستقيم وكل ما يظهره فممن الكتاب والسنة وأثار الصحابة الكرام وسير السلف الصالح رضوان الله عليهم .

(وله قدس الله سره) خلفاء حنفاء كثيرون العدد يضيقت عن حصرهم نطاق هذا المجلد من أعظمهم ذكراً وأشرفهم قدراً فخر الأولياء ونخبة الأصفياء :

## سيدنا الشيخ محمد ابن محمد بن محمود الحافظي البخاري المشهور بپارسا قدس سره

كان في العلم والهداية آية وأي آية لم تدرك لها غاية . ولُقِّبَ بپارسا لأنه جاء أيام الرياضة لزيارة الشيخ قدس الله سره العزيز ووقف عند الباب ينتظر نظرة الإبريز . فخرجت جارية فرأته فرجعت فقال لها الشيخ : مَنْ بالباب ؟ قالت : شاب بصورة پارسا ( وهو بمعنى المتعبد ) فخرج الشيخ وقال له : أنت پارسا . فأشْتَهَرَ به وبشَّره بأنه من المرادين وأن كل ما يقوله يقبله الحق تعالى . وكان يعبر عن نفسه في جانب حضرة الشيخ بالمحب المخلص . وقال له عند مرض موته : " كل ما إكتسبته في الطريقة أودعته إياك كما أودع إياك الشيخ عارف الديك كرائي " . وقال في شأنه : " المقصود من وجودي ظهوره " .  
وحضر أحد أحفاده لخدمة الشيخ عبيدالله الأحرار فأقبل عليه وعظمه ووقَّره غاية التوقير وقال له : " رأى رجل في المنام سيدنا النقشبند بعد وفاته فقال له ماذا عملت حتى أحصل النجاة ؟ فقال كنت مشتغلاً بحالة ينبغي أن يكون العبد عليها عند آخر نفس من أنفاسه ، يعني بالحضور التام - ثم قال له إن جدك محمد پارسا كان على حاله ، بحيث دخل سيدنا النقشبند يوماً يتنزه في بستانه ، فرأه جالساً على ضفة الحوض مستغرقاً وفانياً في الله عز وجل ورجلاه في الماء . فنزل حضرة الشيخ في الماء وقبَّلَ رجله وقال اللهم إرحمني بحرمة هذه الرجل " .

و(كراماته) !علم أن مرتبته ودرجته فوق أن توصف بكرامة ومقامه أرفع من أن يثنى عليه بخوارق العادة ، لأن وجوده الشريف أعظم كرامة . وقد قيل أنه كان قدس سره كثيراً ما يبالح في إخفاء تصرفاته غير أنه اضطر مرة لإظهار كرامته لو لم يفعلها لوقع على مشايخ سلسلته إهانة عظيمة . وهي أن الشيخ محمد بن محمد بن محمد شمس الدين الجزري قدم في عهد مرزا الف بك الى سمرقند لتصحيح أسانيد المحدثين فيما وراء النهر . فقال له بعض الحساد من أهل الفساد أن الشيخ محمد پارسا في بخارى يحدث أحاديث لايعرف أحد سندها ، فإت حقت ذلك نلت ثواباً جزيلاً فإلتمس من السلطات حضوره . فلما وصل عقد له مجلساً عظيماً مؤلفاً من شيخ الإسلام يومئذ الشيخ عصام الدين النحوي المشهور والعلماء وسأله عن حديث فرواه بإسناده . فقال له الجزري : لاكلام في صحة هذا الحديث ، لكن هذا المسند لم يثبت عندي . ففرم بذلك حساده ثم ذكر سند آخر لذلك الحديث فأجابه بما أجابه به أولاً ، ففهم قدس سره أن كل سند نقله لايقبله فسكت لحظة ثم التفت الى الشيخ العصام وقال له : هل المسند الفلاني صحيح عندكم وإسناده معتمد عليه ؟ فقال الشيخ : نعم هو كتاب معتبر عند المحدثين وماتكلم أحد في أسانيده فإن كان سنده فيه فلا كلام لنا فيه . فقال قدس سره : هذا المسند هو في خزانتكم في محل (كذا) تحت كتاب (كذا) وحجمه وجلده (كذا وكذا) وهذا الحديث الذي ذكرته الآن بهذا المسند موجود في الصحيفة الفلانية فأطلبوه . وكان العصام متردداً في وجود هذا الكتاب في خزائنه فلما حضر وجدوا الحديث بإسناده فيه . فتعجب الحاضرون ولاسيما العصام إذ لم يكن الشيخ دخل الى بيته ولا رأى كتبه وخجلوا منه . وبلغ ذلك السلطان فإستحيى من إشخاصه وصار ذلك سبب شهرة مقامه وإعتقاد أكثر العلماء به وكفَّ السنتهم عنه . وكان قدس سره يشتم وهو في بخارى عند ملك خراسان مرزا شاه كثير . فعظم ذلك على ملك سمرقند

خليل مرزا سليل السلطات تيمور وأرسل إليه أن اذهب الى وادي كورك عسى أن يسعد من بركتك جماعة بشراف الإسلام . فاجابه على ذلك على أن يزور مقابر الأولياء أولاً . فزار مقام سيدنا النقشبند فلما فرغ من زيارته ظهر عليه أثر الهيبة والعظمة . ثم زار الأمير كلال ومكث ملياً ثم ركب وضرب فرسه بسوط وصعد على مكان مرتفع وتوجه نحو خراسان وأنشد ما معرّبه :

الك فاقبله لافوقاً تقرّ ولا تحتاً ليعلم من في حلبة الشرف

ثم رجع الى منزله فاذا برسول من قبل مرزا شاه قد جاء بكتاب . فقريء في المسجد الجامع فاذا فيه "أني قاصدك فباستعد للقتال" وأرسل خليل الى مرزا في سمرقند ثم جاء شاه رخ ووقعت الحرب بينهما فقتل خليل مرزا .

ولولم يكن منها إلا ما رواه مولانا الشيخ محمد الفغانزي أحد أجلاء أصحاب سيدنا النقشبند ، أنه كان يخرج من المسجد بعد صلاة العشاء ويقف على الباب متكئاً على عصاه ويتكلم مع أصحابه ثم يسكت . فيغيب عن نفسه حتى يؤذن الفجر فيدخل المسجد لكفى .

(وفاته) خرج حاجاً سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة من بخارى عنه طريق (نسف) فلما وصل نيسابور حصل بأصحابه فتور من خوف الطريق وشدة الحر . ففتح ديوان مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه متفائلاً فخرج هذان البيتان :

سيروا بتوفيق الإله توجّهوا سير البذور الى بروج سعودها

كك البلاد مبارك في حقتكم لاضير في أغوارها ونجودها

فذهب قاصداً مكة المكرمة حتى إذا أتم الحج والعمرة توجه الى المدينة المنورة متوعكاً . فلم يزل يزداد مرضه حتى وصل اليها ثم توفي ثاني يوم من وصوله عن ثلاث وسبعين سنة . وذلك يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة من العام المذكور . وحضر جنازته أهل المدينة وكان يومئذ ثم الشيخ شمس الدين الفناري الرومي رحمه الله تعالى . وركب الحاج ودُفن ليلة الجمعة في البقيع عند قبة سيدنا العباس رضي الله عنه بمشهد عظيم . وكان له اليد الطولى في كافة العلوم لاسيما في علم التصوف ، فإن له فيه تأليفاً عديدة مفيدة فارسية وعربية منها كتاب "منطق الطير" و"فصل الخطاب" .

### لطيفة

قد استخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من اسم هذا الكتاب ولكن على طريقة القدماء من وضع التاريخ خلال البيت فنظمته على اصطلاح المتأخرين فقلت :

أيها الراجي جوابي حينما زاد الجوى بي

عند طه المستطاب أرخوا فصل خطابي

وهو بالحب ثوى بي في عالا دار الثواب

وقد أعقب أنجب العلماء وأعلم النجباء الولي الكامل واللاممي الفاضل الشيخ حافظ الدين أبو نصر يارسا قدس سره وبلغ في علوم الشريعة والطريقة مبلغ والده العزيز بل كان في نفي الوجود وستر الحال وبذل الموجود أقوى منه حتى لو سئل عن أقل مسألة يقول للسائل راجع الكتاب فاذا فتح السائل الكتاب تخرج المسألة من أول وهلة .

(توفي) عام خمسة وستين وثمانمائة وله خلفاء كثيرون من أشهرهم ثلاثة :

الأول : الشيخ سليمان الفركتي قدّس سرّه .

الثاني : الشيخ عبدالرحيم النيستاني وكان أبا الشيخ أبي نصر من الرضاع ورفيق درسه .

الثالث : الشيخ بير خلط قدّس سرّه رونه أنه كان في جماعة شمائل شيخه فأذن بالظهر فقام أكثرهم قبل تمام كلامه . فقال سمعت من الشيخ محمد پارسا هذا البيت :

يكون قضاء للصلاة ولا قضا لصحبتنا فالخسر فوق زمانها

ومن أجل أصحاب سيدنا النقشبند بحر المعارف وكل العارف الشيخ خسرو الكرمني قدّس سرّه ، وشيخ الإسلام الإمام العلامة الشيخ عبدالعزيز قدّس سرّه ، والخبير الكامل والولي الواصل الشيخ عبدالله الخجندي قدّس سرّه ، والحجة الإيمانية الباهرة والمحة العرفانية الظاهرة الشيخ سيف الدين البخاري قدّس سرّه ، والمرشد كل المرشد مؤيد طريق الحق وأي مؤيد الشيخ لطف الله قدّس سرّه ، ومُظهِر الفضائل الغيبية ومركز الشمائل القطبية الشيخ عزيز البخاري قدّس سرّه ، ونخبة المرشدين المشيدين دعائم الدين الشيخ مسافر الخوارزمي قدّس سرّه كان بركة وقته ومفرداً في نعته ، روي عنه أنه قال : "كنت مشغولاً بحب السماء وأنا في صحبة الشيخ قدّس سرّه فاتفقت يوماً مع أصحابه على إحضار القوال ومعه الدف والناي الى مجلس الشيخ ، فلما حضر استمع له ولم يمنعنا غير أنه قاله (إنكار نيست واين كار نيست) أي لأفعل هذا ولأنكره . ومن أجلهم الغريق في بحار الشهود الذائق أعلى مقامات وحدة الوجود الشيخ أبو بكر الأفسحي قدّس سرّه ، والمحقق الصمداني والمربي الرباني الشيخ محمد الطوابسي الخياط قدّس سرّه ، والمظهر الأظهر الرحماني الشيخ علاء الدين العجدواني قدّس سرّه كان إمام دهره وعارف عصره .

(ومن كلامه) صحبة مشايخ الوقت مغتنم ولو لم يكونوا برتبة القدمات ، فقد قال سيدنا النقشبند الأكبر : السنور الحي أحسن وأنعم من الأسد الميت . ولما توفي خطب الشيخ أبو نصر پارسا خطبة قال في آخرها : "كنا ونحن في جوار الشيخ علاء الدين ببركة توجّهه وحمايته آمين فأصبحنا في خوف النفس بعده" .

(وللشيخ علاء الدين) أصحاب بلا حساب من أشهرهم : (الشيخ بدر الدين الصرافاني) قدّس سرّه نسبة الى صرافان بصاد فراء مهملتين فالف ففاء فألف فنون محلة في بخارى . ومن أجل أصحاب سيدنا النقشبند العالم بالله تعالى المعرض عن سواه الشيخ محمد الفغانزي قدّس سرّه ، والظاهر بأعلى مظاهر السعود مولانا الشيخ أمير محمود القصرمغاني قدّس سرّه ، وقبله توجه المرشدين الشيخ قطب الدين قدّس سرّه ، وكوكب سماء الإرشاد الأكمل الشيخ أفضل الخالدي قدّس سرّه ، وإفتخار الأبرار وزينة العارفين الأخيار الشيخ شادي قدّس سرّه ، وبركة العموم المتحلي بأشرف العلوم الشيخ درويش نيكروز قدّس سرّه ، والعارف الكامل بحر المعارف والفضائل الشيخ سراج الدين كلال الپيرمسي قدّس سرّه نسبةً الى (پيرمسي) وهي قصبة من أعمال بخارى كان من مشايخ سيدنا عبيدالله أحرار يقول قدّس سرّه : "وسمعت ان الشيخ سعد الدين الكاشغري صحبه أولاً فللقنه الذكر بالنفى والإثبات هكذا - وهو أن يبتديء رأس ألف «لا» من تحت السرّة وكروسي «لا» على صدره محاذي الثدي الأيمن ورأس «لا» الثاني على القلب الصنوبري و«له» تتصل بكرسي (لا) محاذي الثدي الأيمن «إلا الله محمد رسول الله» تعتبر متصلة بالقلب . ويحفظ الكلمة الطيبة على هذا الشكل ويكون مشتغلاً على الدوام" ويقول : "كان من عادته انه متى قام يكنس داره جاءه ضيف وربما جاءه والمكنسة في يده . فسألته عن سرّ ذلك . فقال إن لي محباً من

الجان يخبرني بمن أراد زيارتي " . ولك من هؤلاء الأولياء خلفاء كبراء وأصحاب أتقياء ، وللخلفاء خلفاء  
لايُحصون عدداً ولايُدركون مدداً .  
وأعظم من سرى اليه سرّ هذه النسبة العلية من سيدنا النقشبند شيخ هذه السلسلة الشريفة سيدنا  
الشيخ علاءالدين العطار رضي الله عنه وعنهم .

## سيدنا الشيخ علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار قدّس الله سرّه

تاج هام الأولياء الكاملين ونتاج أعقاف العلماء العاملين . ثمرة شجرة العلم ونضرة وجه العالم الإنساني . محيي رفات العرفان ، ومأحي أفات الأغيان . مظهر الإرشاد الخاص والعام ، ومنمك إمداد الخاص والعام . أدلّ دال على الحق للخلف ، وأول ذاك لشوكة الباطل . بالحق تصدّر في دست دولة القطبانية ونهض بأعباء الخلافة الروحانية . فأرّبى بما ربي في نفوس أحبار إخوانه على كبار أقدانه حتى لهج بذكره الكون أرضه وسماؤه وابتهم في عصره الدين ، ولاغرو فهو في الحقيقة علاؤه .

(ولد) قدّس سره سنة (... ) ونشأ في حجر والده على أجمل الأحوال ، ثم لما توفي والده رضي الله عنه ترك ثلاثة أنجال . فخرج من ميراثه لأخويه واختار التجرد لتحصيل العلوم في مدارس بخارى حتى نيف في جميع الفنون وبلغ منها فوق ماتتعلق به الضنون .

(وكان) لسيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز بنت صغيرة فقال لأماها : إذا بلغت فأذيني . فلما بلغت أخبرته فتوجه من قصر العارفان الى بخارى الى المدرسة التي فيها الشيخ علاء الدين قدّس سرّه . فلما أن دخل حجرته لم يجد بها غير خلت حصير ينام عليه وأجرة يتوسدها وإبريقاً مكسوراً يتوضأ منه . فلما أبصر الشيخ سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرهما أكب على قدميه فقبلهما وجعل رأسه عليهما . فقال له : إن لي بنتاً بلغت اليوم والله تبارك وتعالى أمرني أن أنكحك إياها . قال له : إن هذه لسعادة عظيمة أسعدني الله عزّ وجلّ بها غير أنني لأملك ما أنفق في ذلك وحالي كما رأيتم . فقال له : ما كتب الله لكم من الرزق يأتيكم إن شاء الله تعالى فلا تتفكر في ذلك . ثم عقد له عليها . فلما بنى بها أمره بالخروج من المدرسة وأعطاه طبقاً مملوءً تفاحاً وأمره أن يحمله على رأسه ويجوب الأسواق والأماكن كلها حافي القدم ينادي بأعلى صوته "ياتفام" حتى يبيعه . فوضع الطبق على رأسه ودخل السوق وهو يقول "ياتفام" فلما راه أخواه وكان من أولي المكانة والإحترام غضب لذلك أشد الغضب . فبلغ سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز خبر غضبهما فأمره أن يذهب بطبق التفاح فيضعه قريباً من محل أخويه ويبيعه ففعل كما أمره . وأقام على ذلك مدة حتى لقنّه الذكر الخفي .

(وكان) قدّس الله سرّه يقربه في بداية حاله اليه ، فسأله بعض خواص أصحابه عن ذلك فقال حذراً من أن يأكله الذئب ورجاء أن يصير مظهرًا عظيمًا .

(وقال قدّس الله سرّه) قال لي الشيخ محمد راهين يوماً : كيف قلبك ؟ فقلت : لأعرف كيفيته . فقال : أما أنا فباني أراه كالقمر ليلة ثلاثة . فذكرت ذلك لسيدنا الشاه نقشبند قدّس الله سرّه . فقال : هذا بالنظر الى قلبه . وكان وقتئذٍ وقتاً فوضع قدمه على قدمي فغبت عن نفسي فرايت جميع الموجودات منطوية في قلبي . فلما أفقت قال : إذا كان القلب هكذا فكيف يتسنى لأحد إدراكه ، ولهذا قال في الحديث القدسي : "ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن" . وهذا من الأسرار الغامضة فهم من فهم .

وذكر سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار) إن الشيخ محمد پارساً قدّس الله سرّه كثيراً ما كان يحصل له الغيبة

وقت المراقبة والإستحضار بخلاف الشيخ علاء الدين قدّس الله سرّه فإنه كان من أهل الصحو وهو أتم من الغيبة . ثم إن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه أخذ يربيه أولى تربية ويرقيّه أعلى ترقية ويهيئه للدخول الى حضرة القرب والوصول والعروج في بروج العرفان والخروج من الفرق الى مقام الفرقان ، الى أن صار فرداً في باب من بين سائر خاصة أصحابه الوارثين لأذواقه العالية وأحواله الحالية . وقد أمره في حياته بتربية بعض مريديه وقال قدّس الله سرّه في حقه "إنه خفف أثقاله وظهر لي ما ظهر ببركة صحبتته وحسن تربيته" . كما ذكر سيدنا الشيخ عبيدالله الأحرار قدّس الله سرّه انه بعد إنتقال حضرة الشيخ الى حظيرة القدس تبعه جميع أصحابه حتى الشيخ محمد پارسا إذعاناً لعلوّ رتبته وقوة تربيته . قال ورأيت بخت الشيخ محمد پارسا انه سمع الشيخ علاء الدين قدّس الله سرّهما في مرض موته يقول : "إن لي بعون الله وببركة سيدنا شاه نقشبند قوة لو توجهت الى جميع الخلائق ل جعلتهم من الواصلين" .

(واختلف) علماء بخارى في إمكان رؤيته الله تعالى ، فمنهم من نفى ومنهم من أثبت وكانوا جميعاً من مخلصي الشيخ قدّس الله سرّه . فأتوا اليه وقالوا إنا رضيناك حكماً علينا في هذه المسألة . فقال للنافين أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين ولا تتكلموا بشيء ، ما أصلاً أجيبكم . فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا . فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا أمناً ان الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته . وأنشد حالئذ بعض المريدين في ذلك المجلس :

من العمى قولهم كيف الوصول الى ذلك الجنب فما في ذلك من طعم  
ضم أكفهم شمم الصفا ليروا أن الوصول اليه غير ممتمنم

ومن أثار أنواره وأنوار آثاره ما وجد بخت سيدنا الشيخ محمد پارسا قدّس الله سرّه : انه رضي الله عنه قال : "التعلق بالمرشد وإن كان تعلقاً بالغير الواجب نفيه في النهاية لكن لما كان سبباً للوصول في البداية وكان اثباته موجبا لنفي ماسواه تعيّن على كل حال طلب رضاه" .

(وقال قدّس الله سرّه) المقصود من الرياضة إنما هو نفي العلائق النفسانية والتوجه الى عالم الأرواح والحقيقة . (وقال قدّس الله سرّه) المراد من السلوك أن يدم السالك باختياره كل علاقة دنيوية تحجبه عن الله تعالى . ولا يتحقق ذلك إلا إذا عرض على نفسه هذه التعلقات فكما ما استوى عنده وجوده وعدمه فهو الذي لاتعلّق له به ، وما ليس كذلك يُعلم انه له به تعلّق فيعالج نفسه بصرفها عنه . (وقال قدّس الله سرّه) كان سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه إذا أراد أن يلبس ثوباً جديداً يهبه لغيره ثم يستعيره منه ويلبسه . (وقال قدّس الله سرّه) قولهم التوفيق مع السعي هو عبارة عن إمداد روحانية المرشد للطالب بحسب طلبه وقابليته وسعيه على طبق أمر المرشد ، فإنه إذا لم يكن للطالب سعي فلن يتوجه المرشد . ومن عناية الله بي ان الشيخ دادرک وهو من أقدم أصحاب سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّهما أمرني باديء بدء بالسعي والمجاهدة . فمنّ الله تعالى علي بالتوفيق حتى إنني لم أتركه في جميع أوقات صحبة الشيخ ولم أر من ثابر عليه من أصحابه إلا قليلاً . (وقال قدّس الله سرّه) إذا خلا قلب المرشد بأمر مرشده عما سوى حب المرشد وعما يكون مانعاً من حبه وتمكّن من محبته يكون حينئذ قابلاً لورود الفيوضات الإلهية الغير متناهية عليه . فإن القصور لا يكون من الفيوضات بل من الطالب فمتى ارتفعت عنه الموانع لاجرم يصل اليه بهمة المرشد حال يتحير في إدراكها من مقولة "رب زدني فيك تحيراً" . ثم إن في جعل العبد مختاراً حكماً كثيراً فإنه لما تمكنت الموانع الطبيعية منه لزمه أن يلتفت باختياره الى الملائكة وإن كانوا مجبولين على الطاعة والعبادة معصومين من المخالفة مستغرقين في الخوف والخشية ، غير أن كمال

الإعتبار للإختيار في السعادة والشقاوة والترقي والتدلي .

( وقال ) ينبغي للمريد أن يظهر جميع أحواله للمرشد ويتيقن أنه لاينال المقصود الحقيقي إلا برضائه وحبه فيطلب رضاه ، ويعتقد أن كل الأبواب مسدودة دونه ظاهراً إلا ذلك الباب الذي هو مرشده فيفديه بنفسه . وأية المرید الكامل أنه مهما كان عنده من علوم وعرفان وهمة عالية في السلوك والمجاهدة لايجد لها في نفسه أثر ولا قدراً ولايراها إلا بقدر الذرة بالنسبة الى ما عند مرشده . ( وقال قدس الله سره ) لا تُرجى الفائدة إلا لمن يشاهد دائماً قصور أعماله ويعد نفسه من الناقصين ويلتجئ الى كرم الطاف رب العالمين . ( وقال قدس الله سره ) على المرید أن يفوض أموره إن دينية وإن دنيوية كلية أو جزئية لإختيار المرشد وتديبره ، بحيث لا يكون له أدنى إختيار معه أصلاً . وعلى المرشد أن يفحص عن أحواله فيهتم باصلاحها ويأمره بما ينفعه في معاشه ومعاده فيقتدي به .

( وقال قدس الله سره ) عليك بمراعاة أحوال أهل العلم وإخفاء أحوالك ومقامك عنهم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم" . وإياك وإيذاء القلوب الصوفية وإغفال آداب مخالطتهم ، فإذا أردت صحبتهم فتعلم أولاً آدابهم ثم صاحبهم تنتفع بهم والآ فتضر نفسك وقد قيل لا طريق لمن لا أدب له . وكونك مع الأدب خطأ يعني أن رؤيتك لنفسك أنك مؤدب خطأ في الأدب . ( وقال قدس الله سره ) المقصود من التوجيه الى أسماء الجلال التذلل والبكاء والمسارعة الى التوبة والإنابة . وعلامة صحة التوبة الميل الى العبادة والمناجاة لا الى المعاصي "فألهمها فجورها وتقواها" . وثمره ذلك انه إذا وجد ميلاً الى مرضاته تعالى يشكره ويمضي وإذا رأى ميلاً لمعصيته يبكي ويلتجئ ، أو يخاف من مقام أن الله لغني عن العالمين . ( وقال قدس الله سره ) الولاية لا تثبت إلا لمن تسلط نفسه عليه ولو وقع منه أدنى قصور يعفى عنه ، قال الله تعالى "إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" . ( وقال قدس الله سره ) أولياء الله تعالى لا يخافون من غلبة أحوال الطبيعة كما قيل الفاني لا يرد الى أوصافه . ( وقال قدس الله سره ) ينبغي للمريد أن يكون في الظاهر معتصماً بحبل الله تعالى وفي الباطن معتصماً بالله تعالى فالجمع بينهما لازم .

( وقال ) النعم في زيارة قبور المشايخ على قدر معرفتك بهم . ( وقال قدس الله سره ) القرب من قبور الصالحين له تأثير كبير ، ومع ذلك فالتوجه الى أرواحهم المقدسة أولى منه إذ لايتوقف تأثيره على القرب والبعد بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " صلوا عليّ حيثما كنتم" . وشهود صور أهل القبور المثالية عند زيارتهم لا يوازن معرفة صفاتهم . فإن معرفتها أقوى فائدة . ولذلك قال سيدنا شاه نقشبند قدس الله سره العزيز "لأن تكون جار الحق أولى من أن تكون جار الخلق والحق ، وكثيراً ما أنشد :  
حتّى م تعبد أرماس الأكابر قف واعمل بأعمالهم تخلص وتسترحم

ثم الأدب في زيارة القبور أن تتوجه الى الله تعالى وتجعل أرواح أصحابها وسيلة اليه تعالى ، وهكذا في تواضعك للخلق فتتواضع اليهم ظاهراً واليه تعالى باطناً . فإن التواضع للخلق لايجوز إلا إذا نظرت الى اليهم بأنهم مظاهر للحق تبارك وتعالى . فيكون التواضع حينئذ الى الظاهر بهم لا اليهم . ( وقال قدس الله سره ) طريق المراقبة أعلى وأرفع من طريق النفي والإثبات وأقرب الى الجذبة . ويصل السالك بدوام المراقبة الى مرتبة الوزارة الباطنية والتصرف في الملك والملوك والإطلاع على الخواطر وتنور الباطن والنظر اليه بعين الموهبة . ومن التمكن ومن المراقبة تحصل الجمعية وقبول القلوب

ويسمى جمعاً وقبولاً . (وقال قدّس الله سرّه) السكوت ينبغي أن لا يكون خالياً عن ثلاثة أشياء : حفظ الخواطر والتوجه الى الذّكر أو مشاهدة أحوال القلب . (وقال قدّس الله سرّه) حفظ الخواطر متعسّر واجتنابها متعذّر ، فإني حفظت خواطري عشرين سنة ثم جاءت ولكن لم تستقر . (وقال قدّس الله سرّه) أحسن الأعمال في التربية المؤاخذه على الخواطر .

(وكان قدّس الله سرّه) يشكو آخر حياته من الإشتغال بتربية الخلف ويقول إنهم لا يراعون ما يحصل لهم . (وقال له بعض أصحابه يوماً) إن المطلوب في غاية العظمة ومالنا للطلب لسان إلا أن تتفضل علينا به أنت ، فقال : "الإبطاء من القابلية فإنكم تجدون وتضيعون ولا تتقيدون ومن أين جاء لتعلمون" .

(وقال) دوام صحبة أهل الله عزّ وجلّ تزيد في العقل المعادي . (وقال) رؤية أهل الله تعالى سنة مؤكدة في كل يوم أو يومين مع رعاية الأدب ، فإن بعدت الشّقة بينك وبينهم فأكتب اليهم كل شهر أو شهرين جميع أحوالك ولا تترك التوجه الى أرواحهم لنلا تنقطع عن نظرهم . (وقال قدّس الله سرّه) أنا أضمت لكل من دخل هذا الطريق مقلداً أن يصير محققاً ولا بد فإن سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز أمرني بتقليده . فكل ما فعلته وأفعله تقليداً له نتيجه في الحال . (وقال قدّس الله سرّه) لما كانت هذه الطائفة العلية لا تعرف إلا في مقام التلوين علمت إذا أنهم لا يعرفون إلا فيه . من وجدهم في التمكين وقادهم تزندق ، إلا إن رحموه على حقيقتهم ، أه . (مراده) والله أعلم بالمعرفة التقليد كما يؤخذ من كلامه أن ينبغي للسالك أن لا يقلد المرشد إلا في تلوينه وهو عبارة عن التنقل في المجاهدات من الصعب الى الأصعب وفي الرياضات من المتعب الى الأتعب والتقلّب في الأحوال حتى يصل الى درجة الكمال . وأما تقليده في تمكينه وهو إبان إكماله وجريان الأمور الطبيعية عليه بلا تأثير في مقامه من أكل وصوم ويقظة ونوم وممازحة وغيرها قبل وصول السالك الى مقام الكمال . فإنه يورثه الزندقة والهلاك والإنقطاع والإرتباك .

(وقال قدّس الله سرّه) فيه أنا راض عن الشيخ محمد پارسا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عن أصحابه .

(وكان) مدة مرضه يتكلم بالوصايا تارة والحكمة تارة والدعاء للخلف أونة والرضا والمحبة والوجد أونة وينشد :

ذواتنا القصب الزاوي وحبكم نار فنوا بها تحرق لذا القصب

(وقال قدّس الله سرّه) عند شدة المرض إني خدمت رجلاً قوياً صورة ومعنى . (وتكلّم) يوماً في أحوال سفر الآخرة والإقامة في الدنيا وكان ذلك قبل مرضه بخمسة عشر يوماً ، فقال : "إني اخترت السفر للآخرة ولأرجع عنه" .

(ابتداه) المرض ثاني يوم شهر رجب وانتقل الى بحبوحة الفردوس عشاء ليلة الأربعاء لعشرين خلت منه سنة إثني عشر وثمانمائة ودُفّن في جفانيات (بجيم فغين معجمة فالف فنونين بينهما ياء وألف) بلدة من أعمال بخارى . ومقامه يُقصد ويستغاث به رضي الله عنه .

(وراه) بعض من أحبابه من السدة الصوفية في المنام بعد أربعين يوماً من وفاته . فقال له قدّس الله سرّه : "إنما أعطانيه الحق تعالى هو فوق إعتقاد المخلصين" .

(وكان قدّس الله سرّه) قد زار ضريح سيدنا شاه نقشبند رضي الله عنه قبل وفاته بسبع سنين ومعه

زمرة من أصحابه . فرأى أحدهم في المنام خيمة كبيرة قد ضُربت ، قال وعلمت أن هذه الخيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء سيدنا النقشبند ومعه الشيخ علاء الدين الى هذه الخيمة لزيارته صلى الله عليه وسلم وخرجا بعد ساعة فرحين شاكرين وسيدنا شاه نقشبند يقول : "أكرمني الله بأن أشفع لي مائة فرسخ من جهات قبري الأربع والشيخ علاء الدين الى أربعين فرسخاً وأحبائي وأتباعي الى فرسخ" .  
(وله قدس الله سره) خلفاء كثيرون أجلّاء من أعظمهم :

الخليفة الأول : ولده سيدنا الشيخ حسن العطار . فإن جده قدس الله سره كان يحبه حباً كثيراً ويميل اليه ميلاً كبيراً حتى راه مرة وهو طفل قد ركب عجلًا والأطفال حوله . فقال قدس الله سره : "يوشك أن يركب والملوك والأمراء تمشي أمامه" . فكان كما قال بعد بلوغه قدم خراسان ولقي ملكها مرزا شاه رخ رحمه الله تعالى في بستان باغ زاغان . فقدم اليه بقلعة . فلما أراد أن يركبها أخذ الملك عنانها بيده وركابها بيده الأخرى فركب فجمحت به البقلعة فأخذ الملك عنانها بيده ومشى أمامه حتى هدأت ، فترجك قدس الله سره وتوجه بوجهه الى بخارى وطأ رأسه الشريف خضوعاً وتواضعاً لروحانية جدّه قدس الله سره العزيز . ثم ذكر للملك بشارته وتحقق كرامته فزاد اعتقاده ومن معه به ولمولانا حسن أحوال وأثار عالية .

(فمن آياته الباهرة) انه كان إذا وقع نظره الكريم أول مرة على الطالب يحصل له الغيبة والفناء اللذان لا يحصلان إلا بأشقة الرياضات وأشدّ المجاهدات ويأمر أصحابه باستحضار رابطة الشريفة فيحصل لهم ذلك أينما كانوا .

(ومن آثاره الشريفة) ما قاله من رسالته الى بعض أصحابه :

"أعلم أنّ طريق سلوك الطائفة العلية العلانية زاد الله فتوحهم أعلى أطوار سلوك المشايخ رضوان الله عليهم أجمعين وأقرب السبل الى المقصد الأسنى وهو الله سبحانه وتعالى فإنه يرفع حجب التعينات عن وجه الذات الأحدية السارية في الكل بالمو والفناء في الوحدة حتى تشترق سبحات جلالة فتتحرق ماسواه . وفي الحقيقة نهاية سلوك المشايخ بدايتهم لأن أول ما يحصل لهم الغيبة والفناء وسلوكهم بعد الجذبة يعني تفصيل مجمل التوحيد الذي هو المقصود من خلق آدم - ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون- أي ليعرفون . فإن أردت أن تشتغل بورد الباطن فأحضر أولاً صورة شيخك في الخيال حتى تظمر لك نسبة الغيبة فكن متوجهاً مع تربية تلك الغيبة بتلك الصورة الخيالية التي هي مرآة الروح المطلقة الى القلب . فكلما إزدادت الغيبة ينتفي الشعور ويسمى عدماً وغيبة . فإذا ترقّيت الى مقام عدم الشعور بما سوى الله تعالى يسمى الفناء ، وظهور صفة الغيبة علامة إزدیاد الأحوال وترقي الدرجات" . كان سيدنا النقشبند يقول للمريدين عند ظهور مقدمة الغيبة : "إذ غبت دعني وإعط نفسك غيبتك" فإذا وردت الخواطر وشوشت عليك الحال فاستحضر صورة شيخك في الخيال فإن اندفعت وإلا أخرج نفسك بقوة ثلاث مرات تم توجه الى الذكر وإلا قُلْ أستغفر الله من جميع ما كره الله قولاً وفعلاً وخاطراً وسامعاً وناظراً ولا حول ولا قوة إلا بالله موافقاً لسانك القلب والأقل يا فعال بالتشديد . إنتهى .

(وكان) يتحمل الأمراض كما هي عادة السادة فعزم على أداء الحج فلما وصل الى شيراز وجد مريداً له من أكابر شيراز مريضاً فتحمل عنه مرضه فعوفي ومرض الشيخ وتوفي في ذلك المرض هناك ليلة الإثنين

وكانت ليلة عيد الأضحى سنة ست وعشرين وثمانمائة ونُقل الى جفانيان ودُفِنَ حذاء قبر والده قدّس الله سرهما . وله أصحاب كثيرون من أشهرهم إثنان : الأول نجله الولي الكامل الأنوار سيدنا الشيخ يوسف العطار قدّس الله سره كان آية في الإرشاد والهداية عاصر الشيخ بهاء الدين عمر وكان بينه وبينه مراسلات ألم ببعضها في الرشحات . والثاني ، الكامل الأذواق الشيخ عبدالرزاق قدّس الله سره .

الخليفة الثاني : أعجوبة المرشدين الكاملين الشيخ حسام الدين پارسا البلخي قدّس سره لقنه الطريقة العلية مولانا شاه نقشبند ثم استودعه الشيخ علاء الدين فرباه أكمل تربية ورشاه أعلى ترقية . كان قدّس سره شديد الورع والتقوى والمجاهدة على حفظ أوقاته . قال سيدنا أحرار قدّس سره كان أحرص على وقته من الشيخ بهاء الدين عمر ومن الشيخ زين الدين الخوافي بحيث لا يقبل أحداً إلا وقت القيلولة ، وقلت له يوماً : ما الفائدة في أمرهم بالذُكر عند النهاية ؟ قال : هو لرفع الدرجات .

الخليفة الثالث : كافل المراد للمريد سيدنا الشيخ أبو سعيد قدّس سره كان من كبار أصحابه وبعد إنتقاله صحب شبلة الشيخ حسن قدّس سرهم .

الخليفة الرابع : صاحب المقام السامي الشيخ عبدالله الإمامي الأصفهاني قدّس سره هو من أجَلِّ أصحابه وله رسالة لطيفة في الذُكر ترصعت بها "الرشحات" .

الخليفة الخامس : العالي النظر الشيخ عمر الماتريدي كان مُظهر نفايس الأسرار وهو من مشايخ سيدنا أحرار قدّس سرهما .

الخليفة السادس : من بين هلك الطريق وملكه سيدنا الشيخ أحمد مسكه قدّس سره . كان من السادات الكبار وهو ممن لقيه سيدنا أحرار وروى عنه فمن ذلك أنه قال : استأذنت في بداية الأمر من الشيخ بصلّة أقرابي في بدخاشن ، فلما رجعت وجدت في الطريق نهراً عنده جوار من البادية يفتسلن فخطر لي أن أنظرهنّ وغلب عليّ ذلك فنظرتهنّ تخلّصاً من الخاطر . فلما أتيت مجلس الشيخ قال لي : من أصولنا المحاسبة على الأوقات فاذا ذكر ماجرياتك . فطفقت أعددتها له حتى بلغت الى قصة النهر سكتُ . فقال : بقي شيء آخر فقله وأنا لأقوله وأفضحك عند الناس . فقلته فحوّل وجهه وقال : شاب شاطر . فحصل يل من الهيبة تمام الفناء والفناء التام .

الخليفة السابع : ولي العلماء وعالم الأولياء المرشد الواعظ المؤيد سيدنا أبو الميامين جمال الدين درويش أحمد بن جلال الدين محمد السمرقندي قدّس سره خدم ظاهراً الشيخ زين الدين الخوافي حتى أجاز له وباطناً حضرة الشيخ وببركة صحبتته نال دوام الترقّي والحظ التام في الوعظ . قال سيدنا أحرار ماملخصه :

«كان الشيخ زين الدين يرفع من شأنه ويستحث الناس على حضور مجلس وعظه ثم وقع بينهما ما أوجب أن ينفر زين الدين الناس عنه فحضر يوماً عندي في هراة وقال لي أمرت أن ألتجىء اليك فوجدت الإذن بذلك . فنهضت بأعباء مساعدته حتى عاد قبوله أعظم من الأول بحيث غصّ المسجد الجامع بجماعته . وكنت أحب كلامه وأحضر كثيراً الى مجلسه الجدير بأن يحضره مثل أبي حفص الحداد والجُنيد والشبلي ، إذ كان يتكلم من الحقائق بالكلام العالي البعيد الإدراك . ولقد اعترض عليه ذلك أصحاب نظام الدين خاموش ، فقلت لهم كلامه هذا بدون إختياره ولكن على حساب إستعداد بعض الحاضرين . وحضرت يوماً مجلسه فأظهر أموراً عالية المدارك فافتخر كل الافتخار بذلك وبالغ الإمتنان

على الحاضرين به ظاناً انه من عنده فما أعجبني ذلك منه وقلت في سري من أين لك هذا ولم لاتحمله على أنه استعداد من الحاضرين إذ لو لم تجد قبولهم لذلك من المبدأ الفياض كيف تتكلم كلمة منه . ثم تقنعت بجبتي وجعلت إصبعي في أذني وحبست نفسي وقلت أنا لأسمع كلامك فأنظر كيف تتكلم بالمعارف . ففي الحال حُصر لسانه وعرف أن ذلك مني فجزع جزعاً عظيماً على المنبر ثم التفت وقال هل يجوز حبس لسان أحد وحرمان السامعين ونزل . فإنغمست بين الناس منه» اه .  
(ومن آثاره) ما نقل عن خطه أنه قال :

”كنت في القدس متوجهاً الى حضرة القدوس فقال لي تحنث؟ قلت : كيف أتحنث يارب؟ قال جلاً وعلا : بخلو سرك عن غيري والتوجه بالكلية الي . وسمعت وأنا في بلدة درويش أبداً قائلاً إن قولك أنا ذات شريف ليس كذلك ففهمت منه ان قول الصوفية الوجود المقيّد عين الوجود المطلق تعالى وتقديس ليس كذلك ثم كشف لي بعد الذكر نوراً بسيطاً كانت جميع الكائنات في جنبه كالذرة بالنسبة الى الشمس . فعلمت انه التصديق لذلك ورأيت الشيخ عبدالله الأنصاري في المنام يقول لي أنت ولدي قدس الله سره .

الخليفة الثامن : قدوة العلماء المحققين وصفوة الأولياء المتقين صاحب التصانيف الفائقة والتحقيقات الرائقة العلامة السيد الشريف الجرجاني قدس سره ، نقل مولانا الجامي عنه :  
إني لما إتصلت بالشيخ زين الدين علي كلال خلصت من الرفض ولما وصلت الى الشيخ علاء الدين العطار عرفت الله تعالى . وقال سيدنا أحرار قال مولانا نظام الدين خاموش لما تشرف السيد بلقاء الشيخ وقبله التفت اليه جداً سألته أن يلحقه بأحد أصحابه ليمينه الى صحبتته . فأمره بصحبتي فجلس يوماً في المراقبة ، فحصلت له الغيبة فسقطت عمامته فقامت ووضعها على رأسه . فلما أفاق سألته عن حاله فقال كنت أتمنى أن تصفى مدركتي عن نقوش العلوم الكونية ويفرغ قلبي عن تعلقاته بها لحظة واحدة من العمر فالحمد لله ببركة صحبتكم نلت ماتمنيته ومن عدم شعوري وقم مني هذا لسوء الأدب في حضوركم . اه... .

ولم يزل حتى صار أية باهرة قدس الله سره

الخليفة التاسع : أكمل الخلفاء العارفين وأفضل الأصحاب الصادقين الولي الكبير والمرشد الشهير سيدنا الشيخ نظام الدين خاموش قدس سره ، تشرف أيام تحصيل العلم بنظر حضرة النقشبند رضي الله عنه وخدمته وبعده صحب الشيخ صحبة صادقة حتى حصل بين مسماه وإسمه تمام المطابقة . نقل سيدنا أحرار عنه أنه قال :

كنت قبل إتصالي بالشيخ علاء الدين ذا رياضة ومجاهدة وخوارق فلما قدم سمرقند قصدته فلقيت أولاً مولانا أبا سعيد فقال لي أنت زاهد ورجل لطيف ظريف إن شاء الله تعالى تخلص من هذه اللطافة والزهد والتقوى فكرهت كلامه ، ثم أتيت الى الشيخ فقال لي مثل أبي سعيد غير أنه أعجبني كلامه وفهمت المقصود منه . ففوضت نفسي اليه وكان قدس سره في الصفاء أية عجيبة وله كرامات غريبة . ذكر بعض الأكابر أنه كان في مجلسه فمرّت جارية حسناء من جواريه لحاجة فخطر بباله انه هل يلتفت اليها أو لا . فقال في الحال إحفظوا الخواطر من الألوات فإبأ أولياء الله جواسيس الخواطر يعلمون ما خطر لكم والله تعالى منهم أعلم ، والله لي اليوم أربعون سنة لم أحتمل إذ قيل لي احفظ نفسك منه

فإنه سبب رجوعك ، ومنذ سبع عشرة سنة لم يجب عليّ غسل .

وقوة تصرفه وسرعة بطشه وشدة وطاته وتعام غيرته قد تكفل ببيانها في "الرشحات" . (ومنها) ان شيخ الإسلام عصام الدين النحوي الشهير مرض مرضاً شديداً أشرف فيه على الزوال وكان معتقداً له ، فاتى أولاده اليه يبكون ودعوه ان يعود فذهب وتحمل مرضه . وكان ولده مشهوراً بتسخير الجان وكان نساء السلطان والأعيان يترددون اليه فباتهم أحد أولي الحسد بمحبة أحد نساء السلطان ورُفِع الأمر اليه فنفاه وأتى بالشيخ على غير حالة مقبولة فلما وصل اليه أمر بتخليه سبيله ولم يهتم لذلك مولانا عصام الدين مع انه كان وقتئذ شيخ الإسلام ومقبول الكلام فأخرجه من ضمانته فمات لوقتته . وخرج ولد الغ بك على أبيه مساءً يومئذ فقتله وقال رجل فلان قال في شأنك ما لا يليق فغضب وخطأ خطأ على الجدار فمات الرجل تلك الساعة . وأوغر يوماً صدر الشيخ عليه فاستقدمه من سمرقند الى جفانيان ، فلما وصل جلس بين يديه للمراقبة زمناً طويلاً قال فوجدتني كالحمامة والشيخ كالباز فكنت أفر منه وهو يتأثرني حتى أعجزني فدخلت في حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحيت في أنواره . فسمع من الحضرة النبوية أن نظام الدين مني فلم يقو على التصرف فيّ وقام الى بيته فمرض أياماً لا يعلم أحد سبب مرضه قدس سره .

ولمولانا نظام الدين أصحاب بلا حساب وأشهرهم إثنان : الأول ؛ الولي البركة المربي الكامل مولانا زاده الفركتي قدس سره . والثاني ؛ مظهر التلوين في التمكين المرشد النور المبين سيدنا الشيخ سعدالدين الكاشغري . كانا عالماً عارفاً وظلاً من ظلال الله في الأرض وارفاً ، حصل العلوم وأتقت فنون الفهوم حتى تفرّد . ثم مال لطلب الحق وكان غنياً فتجرّد واتصل بخدمة مولانا نظام الدين وصحبه وكان ملحوظاً بالحفظ الإلهي من حين طفولته .

(حكى) جلّه سيدنا كلال عنه قال سافرت مع أبي في تجارة وفي الركب غلام حسن الوجه في سنّي نشغفني حباً فنزل الركب في رباط وبتّ معه على بساط واحد فلما أطفأ الضوء ونام الناس وقم في قلبي أن أخذ يده فأجعلها على عيني . فقبل وقوم ذلك رأيت جدار البيت قد إنشقت ودخل منه رجل مهاب بيده شمعة فنظر اليّ مغضباً ومرتجفاً فأنشقت الجدار الآخر وخرج منه وغاب فانتبهت وزال عني حبه . (وقال) كنت مع أبي في سفر فبتنا في رباط مع جماعة من التجار جالسين يتحاسبون ويتناقشون وبقوا من الفجر الى نصف النهار كذلك . فغلب عليّ البكاء فعجبوا من ذلك وسألوني ، فقلت : أيها المسلمون جلستم من الفجر الى الظهر وأنا متوجه الى قلوبكم فما رأيكمم إلا غافلين عن ذكر الله فيكمم رحمة بكم . وأقام في صحبة الشيخ سنين مديدة ثم استأذنه في الحج فلم يأذن له أولاً ثم أذن له فلقني مشايخ وقتته مثل السيد قاسم التبريزي وأبو زيد البوراني والشيخ زين الدين الخوافي والشيخ بهاءالدين عمر . وروى الشيخ سعدالدين وكان من أكابر أصحابه عنه قال : رأيت ذات ليلة دخلت هراة في المنام انه اجتمع أولياء هراة فأخذني واحد منهم وأجلسني في مقام لم أر فوقه غير إثنين الشيخ عبدالله الطاقي والشيخ عبدالله الأنصاري .

(ومن أنفاسه) علم الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق المراقبة بقوله تعالى (ماتكون في وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) فكونوا مشغوليين فيه فإنه أقرب إليكم من كل شيء ، بل أقرب أيضاً من قولكم انه قريب ؛ لأن حال القرب لاتسعه العبارة . قال رجل لصوفي فلان يتكلم في القرب ، فقال قلّ له قرب القرب عين البعد ، والقرب عبارة عن فناءك فماذا

تسم العبارة .

(وقال) مَنْ طلب الكَل فاته الكَل وَمَنْ كان المولى له فله الكَل . (وقال) في معنى قول مولانا جلال الدين الرومي رضي الله عنه :

معى لا معى المحبوب كل لحظة وهذا وحقُّ الحبِّ من أعجب العجب

لو أن رجلاً سلك ألف سنة لا يدرك معنى هو معه لا معه ، فكيف يدرك قرب الحق . لكن قد يعطيه الله بالجد والإجتهد إدراكاً يقينياً يفهم به "إن الله كان معي وكنت غافلاً عنه" فإنه يحصل لأهل الله تعالى يقين لا تردد معه ولا شبهة في وجوده تعالى ومعيته كما لا يكون لأحد ريب في نفسه . فإنه وإن لبس لباساً مختلفاً وأغض عينيه لا ينسى نفسه أصلاً .

(ومن كراماته) وهي كثيرة سرد طرفاً منها في "الرشحات" ما ذكره الشيخ شمس الدين الكوسوي ، وكان يجالسه كثيراً ، قال : وقع لي في الحقائق مشكلات وأردت أن أسافر لحلها ، فقال لي تعال عندي غداً بنية حل مشكلاتك فربما تحل . فأتيت صباحاً الى مجلسه فلما رأيت وجهه وقعت مغشياً عليّ زمناً طويلاً . فلما أفقت سمعته ينشد هذا البيت :

مرآك حقاً لي جواب السؤال وحل إشكالي وما ثم قال

فعدلت عن السفر فسألني أحد أحبائي عما وقع لي يومئذ ، فقلت له لما وقع بصري على حاجبه الأيمن انحل مشكل ولما نظرت الى الأيسر انحل الآخر ومن لذة ذلك زال شعوري فوقعت .

(وقال) الشيخ غياث الدين الحافظ ، وكان من أجلاء العلماء المقربين عند السلطان ، حضرت مجلس الشيخ يوماً وعنده رجل من قوهستان جالس في آخر المجلس والشيخ ساكت فرم رأسه ونادى القوهستاني وأخذ بيده وقال لي هذا وديعتك فعليك بحمايته وإغاثة فقبلت وما فهمت ولا الحاضرون سرّ وصيته . فبعد مضي خمس عشرة سنة توفي الشيخ قدس سره ثم ظهر رجل في عهد السلطان أبي سعيد يتهم الناس باليهودية عند السلطان ذريعة لأخذ الدراهم منهم . فاتهم هذا وكنت راجعاً يوماً من مجلس السلطان فرأيت قرب باب العراق ازدحاماً فسألت عنه فقبل رجل مسلم أنهم باليهودية فوصلت الى اليه فلما رأني عرفني وقال : يامولاي أنا ذلك القوهستاني الذي أسلمني مولانا سعدالدين في المسجد الجامع اليك . فعرفته وخلصته وذكرت ذلك للسلطان فأمر بقتل ذلك الظالم .

(توفي) بعد ظهر يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ستين وثمانمائة وله نجلان : الأول : لؤلؤة المجد وفضلكة السعد المرشد الكامل سيدنا الشيخ محمد الأكبر قدس سره . كان حافظاً عالماً عارفاً صاحب سيدنا أحرار فعلمه الذكر وأرسله الى هراة وقال له "لَقَدْ مَنْ يَطْلُبُ مِنَ الذِّكْرِ وَلَوْ لَمْ تَتَمَّ سُلُوكُكَ فَإِنَّ الدِّكْمَ لَمَّا ذَهَبَ إِلَى هِرَاةٍ مَا تَمَّ سُلُوكُهُ فاجتمع اليه الناس فاشتغل معهم باجتهد فتم سلوكه قدس سره . والثاني : عالم المرشدين ومرشد العالمين الشيخ محمد الأصغر قدس سره . كان نادرة زمانه حفظاً وعلماً ورشداً توفي سنة تسعمائة في ديار داوزمن من أعمال بخارى ونُقل الى هراة ودُفن عند قبر والده قدس سره .

(وله خلفاء) مثلك نجوم السماء عدداً وهدى فمن أجلم العلامة الشهير والصوفي العارف الكبير الشيخ نورالدين ملا عبدالرحمن الجامي ابن نظام الدين أحمد بن شمس الدين الدشتي نسبة الى (دشت) محلة في أصفهان نزم جده منها الى جام وكان من العلماء العظام ففوض اليه أمر القضاء والفتوى بها ، وجده الجامي من أولاد الإمام محمد الشيباني صاحب الإمام الأعظم ولد في جام في عهد السلطان شاه رخ ملك العراق وپارس وتخرج في العلوم على والده حتى صار أعجوبة زمانه . ثم اختار صحبة مولانا سعدالدين

وببركته حصل له أحوال وأذواق بأدنى مدة . بهرَ بها رفقاءه وأصبح يترقى في معارج الكمال حتى أدرك أعلى درجات الرجال كيف لا وقد نال نظر الشيخ محمد پارسا وفخرالدين اللُّرستاني وهو صغير ، ولقي أبا نصر پارسا والشيخ بهاءالدين عمر والعارف الإمام الشيخ محمد الكوسوي ، وتشرف بلقاء سيدنا عبيدالله أحرار ولازمه وكان يحبه ويرفم من شأنه وكان يسمي سيدنا كثيراً من الفتوحات المكية ويستشكل عليها محالاً منها فيحلها له وهو أستاذه في التصوف .

(قال) صاحب "الرشحات" عزمت على زيارة سيدنا أحرار فرأيتهم في المنام يقول سبحانه الله سبحانه الله العجب أن بحر النور يتموج في خراسان والناس يأتون إلى سمرقند لإقتباس نور سراج . فلما وصلت إلى عتبته فقال : مَنْ رأيت من مشايخ هراة ؟ قلت : مولانا عبدالرحمن الجامي ومولانا محمد الروجي . فقال : مَنْ رأى مولانا عبدالرحمن لا يحتاج للمجيء إلى سمرقند . ثم قال : "سمعت أن مولانا عبدالرحمن لا يقبل المريدمولانا الروجي يقبل . قلت : أجل . فتمثك قدس سره بقول سيدنا الفجدواني "أغلق باب المشيخة وأفتح باب الصحبة" .

(وذكر) مولانا عبدالغفور أن سيدنا الجامي كان لا يلقن الذكر لأحد للطفاته ويقول : "لاقدر أن أحمل ثقل المشيخة" . ثم توجه إلى الحجاز عام سبعم وسبعين وثمانمائة ، فأقبلت عليه ملوك البلاد بالتحف والهدايا والخدمة حتى قضى تفتته وعاد إلى الشام فتلقى الحديث عن المحدث القاضي محمد الحضيري وأجازه بأسانيد العالية ، ثم عاد أشرف معاد . وله تأليف عظيمة الشأن ونفعها على فضلها أعظم برهان ولو لم يكن منها إلا النفحات وشرم الفصوص لكفى .

وله كلمات قدسية منها :

سئل عن قول الشيخ كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني : "بسم الله أي بالإنسان الكامل فقال الإنسان تفسير لفظ اسم لا لفظ الله" . (وسئل) قدس سره عن قوله صلى الله عليه وسلم "يؤجر في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين إذ عليه لا أجر" في بناء المساجد ونحوها ، فقال يحتمل أن يكون المراد بالماء والطين عالم الأجساد فإن ماينفقه الإنسان لحفظ نفسه لا أجر له فيه . (وقال) الكهولة آخر الشباب فما صرف العبد به أول شبابه يظهر أثره على الوجه في آخره . (وحضر) مجلسه رجل يدعي الزهد والتقوى فوضعوا المائدة ولم يأتوا بالملح ، فقال : أتتوني بالملح حتى أبديت به . فقال له : الملح موجود في الخبز فكلوا . فرأى أن الشيخ يقطم الخبز بيد واحدة فقال له : هذا مكروه . فقال له الشيخ : النظر وقت الطعام إلى لقمة أخيك وغمه أكره منه . ثم قال الرجل : التكلّم أثناء الطعام سنّة . فقال له : كثرة الكلام أيضاً مكروه . فسكت إلى آخر المجلس .

وله كرامات وافرة وكشف كالشمس السافرة منها إحياء الموتى وتدمير الأعداء والإخبار بالمغيبات وقد أورد بعضها في "الرشحات" .

(توفي) صباح يوم الجمعة ثامن عشر شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة واستخرج بعض أدباء عصره تاريخ وفاته من القرآن المجيد وهو قوله تعالى (ومن ٩٦ دخله ٦٣٩ كان ٧١ أمناً ٩٢) (سنة ٨٩٨) وولد له أربع ذكور ولم يبق منهم إلا ثالثهم وهو زهرة الأولياء الكاملين :

## سيدنا يوسف ضياء الدين الجامي

(ولد) ليلة الأربعاء تاسع شهر شوال عام إثنيتين وثمانين وثمانمائة وكان في الذكاء والفضل آية عجيبة . وتوفي يوم الجمعة خامس شوال سنة تسم وتسعمائة قدس سره . ومن أشهر تلامذته وأصحابه عالم الصلحاء ومحقق الأولياء الشيخ رضى الدين عبدالغفور الاري قدس سره وهو من سلالة سيدنا سعد بن عبادة رضى الله عنه ، تخرّج على يده في سائر العلوم الظاهرة والباطنة حتى بهر أقرانه وقرأ أكثر مصنفاته عليه وكتب مولانا الجامي بعد إتمام شرح الفصوص تمت مقابلة الكتاب مع صاحبي الأخ الفاضل والمولى الكامل ذو الرأي الصائب والفكر الثاقب رضى الملة والدين عبدالغفور استخلصه الله لنفسه وكان الله عوضاً له عن كل شيء في أواسط جمادى الأولى سنة ست وتسعين وثمانمائة وأنا الفقير عبدالرحمن الجامي عفى عنه وله كلمات في الحقائق تدلّ على علوّ شأنه ذكر شذرة منها في "الرشحات" .

(توفي) صبح يوم الأحد خامس من شعبان سنة إثنى عشرة وتسعمائة وراه أحد الصوفية في المنام ، فقال له : "كيف وجدتم في الآخرة ما قاله سيدنا الشيخ محي الدين رضى الله عنه في سرّ التوحيد والمعينة ؟" فقال : "ماتقولُ فإن عشق الدنيا بالنسبة الى عشق الآخرة بقدر الذرة . والحب الدنيوي يعتريه الزوال سريعاً لأن حسن عالم الأجسام مركّب من أجزاء مختلفة تتبدّل فينقطع الميل وأما حسن العالم الآخروي فهو من البسائط ولهذا لا تنفنى ولا تتبدّل إذ لاتضاد في أجزائه فيدوم العشق لكن عند فراق الروح للجسد تتألم أياماً بسبب صحبته السالفة فإذا صفت مالت الى العشق الأبدي ونسيتهم" فقال له : "يامولانا ماذكرتموه هو من أسرار الآخرة والموتى ليسوا مأذونين في إفشائه فكيف هذا ؟" فقال : "هذا من كلام الجاهل لا أصل له لأن أكثر الناس يرون النبي صلى الله عليه وسلم والعارفين والصالحين ويحققون منهم غرائب أحوال الآخرة وغيرها ولو كان كذلك لما نزل القرآن الكريم ولا وردت الأحاديث المطهرة ببيانها وفضله شمير وتأليفه من أصدق الدلالات على رفعة شأنه قدس سره .

(وممن ذكر) من أصحاب مولانا الكاشغري عالم العارفين وعارف العالمين :

## مولانا شمس الدين الشيخ محمد الروجي

ولد في (روچ) بالراء المهملة والواو والألف والجيم المعجمة قرية على تسعة فراسخ من هراة ليلة نصف شعبان عام عشرين وثمانمائة . وكان لأمه ولد نجيب فمات وهو ابن خمس سنين فحزنت عليه فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها : "لاتحزني فسوف يعطيك الله ولداً طويلاً العمر ذا دولة" فأتاها هذا العزيز فكانت تقول له أنت الذي بشرني النبي صلى الله عليه وسلم بك .

وكان يحب الخلوة في صفر سنه فسمع مرة من والدته أن من قرأ كذا يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ ونام فرأى أنه على باب البيت وأمه على دكة الباب تقول له أين كنت ، كنت بانتظارك لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى بيتي فهلم نذهب اليه . قال فأخذت بيدي اليه صلى الله عليه وسلم فرأيته جالساً على دكة أخرى وحوله الناس قياماً وقعوداً وهو يبعث بالرسائل الى البلدان ولديه كاتب . قال وأحسبه مولانا شرف الدين الزيارتكاهي وكان من علماء المتقين . فقدمتني أمي اليه وقالت يارسول الله هذا الذي وعدتني به أم غيره ؟ فنظر اليّ وتبسّم وقال هذا هو وأمر الكاتب فكتب لي ورقة نحو ثلاثة أسطر وتحتها أسماء الشهود وقرأها وأعطانيها . ثم أفقت فإذا بوالدتي بيدها شمعة في الباب فقالت : رأيت شيئاً ؟ فقلت : نعم . قالت : وأنا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما رأيت .

(ولما) تزلّم بالعلوم الشرعية والعقلية مال الى طلب الحث فلقني في هراة الشيخ صدرالدين الرواسي أحد خلفاء الشيخ زين الدين الخوافي ، قال قدّس سرّه لما جنّته وجدته يذكر بالجهر فما مال قلبي لصحبته ثم إهتديت الى الشيخ سعدالدين فلقيته مع أصحابه في سكوت فقلت في نفسي أين هذا السكوت من تلك الغوغاء . فرغم رأسه اليّ وقال تعال . فأتيت فقال : "لوان أحداً في حضور السلطان شاه رخ يناديه بأعلى صوت ياشاه رخ لا يستحسنه ، إنه سوء أدب والأدب أن يقوم بين يديه بالسكوت والسكوت" . ثم لقنني الذّكر فلم أبرم أن حصل لي ببركته من الأحوال العالية ما لا يدخل تحت حيطة التقرير .  
(وقال مولانا شهاب الدين اليرجندي) غدوت يوماً الى سيدنا سعدالدين فقال : "أمس فتح عليّ ولد الجمال وحصل له حال غبطة ملكوت السموات والأرض" فعلمت أنه مولانا محمد فبان ولده كان يرعى إبل السلطان . (وقال الروجي) كنت في سقاية المسجد فدخّل عليّ الشيخ وأنا أقرأ المثنوي فقال : ماهذا ؟ فقلت : المثنوي . فقال : لا يحصل لك من قراءته شيء فاسم حتى تظهر معانيه من قلبك . ودخل خلوتي فرأى بيدي مصحفاً فقال : ماهذا ؟ فقلت : مصحف . فقال : هذا من علامات الغفلة والعطلة .  
ثم رحل بعد وفاة أستاذه الى مكة المكرمة فصحب العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليميني قدّس سرّه ثم عاد الى هراة فشام فضله في الإرشاد وانتفع بالوصول الى الله على يده عدد كثير من العباد .  
(توفي) يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وتسعمائة وكان آخر كلامه : "الله الله" . ودُفِن عند ضريح مولانا سعدالدين ثم نُقل بعد أربعة أشهر الى قرب مقام سيدنا عبدالله الأنصاري في كارزكاه .  
(ومن أشهر أصحاب الروجي) مولانا الشيخ عبداللطيف السياوشاني قدّس سرّه . وممن ذُكر من خلفاء مولانا الكاشغري علامة الصلحاء ودراسة الأولياء :

### الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد اليرجندي قدّس سرّه

ولد في بروجند قرية من بلاد قباين . وكان رأى والده في المنام أنه واقف على طور سينا فجاء شيخ الإسلام الشيخ أحمد جام ، فسلم عليه فقال سيعطيك الله ولداً فسّمه باسمي . يُقال أنه كان مثابراً على التهجّد والضحى والإشراق في صغر سنّه وكانت آثار الصلّام ظاهرة عليه تخرّج على فحول علماء زمانه في كل فنّ حتى صار بحراً ، وقرأ كتب الحديث على الشيخ أبي نصر بارسا ولقي المشايخ كالخوافي والكوسوي وغيره ، ثم لازم الشيخ حتى لقي ربه في حياة مربيه عام ست أو سبع وخمسين وثمانمائة وقبره عند قبر شيخه قدّس سرّه .  
(وممن ذكر أيضاً) شرف الكاملين :

### الشيخ علاءالدين محمد بن المؤمن الأنبيري المكتبدار قدّس سرّه

(ولد) في قرية (أنبير) من قرى قوهستان واشتغل بتحصيل العلم ثم لاحت له بارقة فصحب الشيخ سعدالدين ولازم خدمته حتى تكمل وصار من العارفين الكمل . وبعد وفاته صحب مولانا الجامي ولقي مولانا أحرار . ولما دخلت عليه في هراة قال : من أنت ؟ قلت : رجل فقير من خدام مولانا سعدالدين معيلم صبيان . فقال : لاتصغره فإنه أمر عظيم يترتب عليه فوائد كثيرة .  
ثم رحل الى الحجاز فلقني العارف الكبير الشيخ عبدالكبير اليميني الحضرموتي وحصل منه تمام الإلتفات وغاية الترقّي في المقامات .  
(توفي) قدّس سرّه يوم السبت أواسط جمادى الثاني سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وقبره عند مقام

أستاذة قدّس سرّه .

(ومن أشهر أصحابه) نجله الشيخ غياث الدين أحمد قدّس سرّه . كان من أجلّاء المرشدين وله صاحبان : الأول ؛ نجله الشيخ نظام الدين حسين توفي قدّس سرّه سنة سبع وخمسين وتسعمائة . والثاني ؛ مولانا زين الدين محمود كما منكر ، توفي في قندهار قدّس سرّه ، ومنهم العالم العارف مولانا علي البارودي قدّس سرّه كان كبير الشأن وله تاليف كثيرة في الطريف الأسنى . ومنهم المرشد الصالح مولانا أحمد البارودي قدّس سرّه ، ومنهم الإمام الجليل الشيخ صنع الله الكوزه كياني نسبة الى (كوزه كيان) من أعمال تبريز ، قدم هراة في طلب الحق ولازم الشيخ علاءالدين المكتبدار ثم نجله ثم عاد الى أوطانه وتوفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وسنّه ثلاث وسبعون سنة ، وله أصحاب من أشهرهم سيدنا علي جان بادام ياري قدّس سرّه نسبة الى بادام يار من أعمال تبريز صحب الشيخ صنع الله حتى كمل وتوفي في (أخترين) قرب حلب عام سبع وستين وتسعمائة في نحو عمر السبعين قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً نخبة الأكابر سيدنا الكاشغري أيضاً عمدة الصالحين مولانا حاجي مزاري قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً من أصحاب الأتقياء الحافظ إسماعيل الروجي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً جوهرة العارفين مولانا محمد الجامي أخو سيدنا عبدالرحمن الجامي توفي قبل أخيه قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً سلالة العلماء المواصلين مولانا أحمد الزيارتكاهي قدّس سرّه ، وممن ذكر أيضاً كوكب فلك المرشدين مولانا پير قدّس سرّه . وممن ذكر أيضاً زهرة روض الإرشاد مولانا الشيخ علاءالدين الكرمانلي قدّس سرّه رحل الى مكة المكرمة وتوفي ثم قدّس سرّه ، ومن أصحاب الكرمانلي الكرام الشيخ عبدالغفور الساوجي نسبة الى (ساوه) من بلاد العجم صحب الشيخ في مكة بعد سياحة طويلة ثم بعد إنتقاله توجه الى جهة العجم وجاوز سنّه المائة وتوفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة قدّس سرّه .

ال خليفة العاشر : من كبار خلفاء سيدنا علاءالدين العطار شيخ هذه السلسلة المنوّرة وأعظم من سرى اليه هذه النسبة المصهّرة سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدّس الله سرّه .

## سيدنا الشيخ يعقوب الجرخي قدّس الله سرّه العزيز

عالم الأولياء وولي العلماء ، ظهر في العالمين بالعلمين ظهور القمرين في أشرف المومنين ، الى أخلاق تبارك الخلفاء وأعظمها ، وأذواق روي عن حضرة الإطلاقات معظما ، أحيى الحقيقة بالشرعية والشرعية بالحقيقة ، وسلك في طريق القوم أقوم طريقة ، وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب .  
( ولد قدّس سرّه ) في جرخ بجم فارسية ومهملة وخاء معجمة ، قرية من قرى غزني وهي بمعجمتين ونونين بينهما ياء تحتية بلدة بين قندهار وكابل مما وراء النهر سنة (...). ورحل لتحصيل العلوم في هراة ثم الى مصر المحروسة ، وتلقى العلوم الشرعية والعقلية عن علمائها ومن أعظمهم علامة عصره الشيخ شهاب الدين الشيرواني ثم عاد الى وطنه وصحب حضرة سيدنا شاه نقشبند قدّس الله سرّه العزيز إرادة تحصيل علم الباطن .

( قال قدّس الله سرّه ) كنت مخلصاً في المحبة لحضرة الشيخ قبل التشرف بلقائه فلما فرغت من تحصيل العلوم وأجيز لي الفتوى وعزمت على الإنصراف الى الوطن أتيت لزيارته قدّس الله سرّه العزيز فقلت له مع الخضوع : أرجو دوام ملاحظتي بإكسير أنظاركم . فقال : جئتني وقت التوجه الى الوطن . فقلت : إني محبك وخادمك . قال : ولم ؟ قلت : لأنك عظيم الشأن مقبول عند الناس . فقال : إئتني بدليل أحسن من هذا فإنه يحتمل أن يكون هذا القبول شيطانياً . فقلت : ورد في الحديث الصحيح "إذا أحب الله عبداً ألقى محبته في قلوب عباده" . فتبسّم قدّس الله سرّه ثم قال : نحن العزيزان . فلما سمعت منه هذه الجملة دهشت لأنني كنت قد رأيت في المنام قبل ذلك بشهر قائلاً يقول لي "كن مريد العزيزان" ونسيت الرؤيا فانتبهت من كلامه وتذكرتها ثم استأذنته فقال : خلّ عندي شيئاً إذا رأيت تذكرتك . ثم قال ، إني علمت أنه ما عندك ما تدعه فخذ كوفيتي هذه واحفظها فإذا نظرت إليها تذكرتني ومتى تذكرتني وجدتني وإذا اجتمعت بمولانا تاج الدين الكولكي فاحفظ خواترك فإنه من أولياء الله تعالى . فقلت في نفسي أنا قاصد الوطن من طريق بلخ وأين بلخ من كوك . ثم توجهت الى بلخ فحدث لي في الطريق ما اضطرني الى الرجوع الى كوك واجتمعت بمولانا تاج الدين قدّس الله سرّه وتذكرت ثمّ كلام حضرة الشيخ قدّس الله سرّه العزيز وزاد اعتقادي به وحبّي له . ثم إني بعد وصولي الى الوطن رجعت الى بخارى فعمدت الى زيارته قدّس الله سرّه العزيز .

قال وكان في بخارى مجذوب فأحببت أن أتفاءك منه بشيء ، فأتيته بهذا القصد ، فلما رأني قال : أسرع ولا تتوقف . وكان يخط في الأرض خطوطاً فخطر ببالي أن أحسب هذه الخطوط فإن خرجت وترأ كانت إشارة الى صحة هذا الداعية فإن الله وتر يحب الوتر . فحسبتها فإذا هي وتر فبادرت الى صحبة الشيخ رضي الله عنه وعرضت عليه مرادي فلقنني الوقوف العددي وقال راع الوتر يشير الى خط الوتر الذي إتخذته دليلي وحجة لي .

( وقال قدّس الله سرّه ) لما جدّ بي الطلب للتحقق بهذا المشرب جعلت أختلف إليه كثيراً وهو يزداد رحمة بي وشفقة عليّ وأنا أزداد اعتقاداً به وإخلاصاً له حتى تيقنت أنه ليس أحد أفضل منه في وقته .

وفتحت المصحف يوماً للتفاؤل فخرج قوله تعالى (أولئك الذي هدى الله فبهداهم اقتده) وكنت وقتئذ مقيماً في بلدة فتم أباد ، فتوجهت آخر النهار لزيارة ضريح الشيخ سيف الدين البخارزي قدس سره ، فورد علي وأنا متوجه الى الضريح وارد أزعجني فقصدت حضرة الشيخ قدس الله سره العزيز . فلما وصلت عنده وجدته كأنه ينتظرنني وكانت الصلاة قد حضرت . فبعد أداء الصلاة أقبل علي بوجهه الكريم فوجدت له هيبه في نفسي وعظمة في قلبي وجلالة في نظري حتى لم أطق الكلام في حضوره . فقال لي قدس سره ورد في الأخبار "العلم علمان علم القلب وذلك العلم النافع علمه الأنبياء والمرسلون ، وعلم اللسان وذلك حجة الله على خلقه وأرجو الله تعالى ان يكون لك نصيب من علم الباطن . ثم قال ورد في الخبر إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلونها وينظرون الى هممكم . ثم قال أنا مأمور من جناب الحق تعالى ألا أقبل إلا من يقبله تعالى وسانظر الليل فإن قبلك الحق تعالى قبلك ، فما مضى من عمري ليلة أشد علي منها إذ بت خائفاً قلقاً من أنه هل يفتح لي باب القبول أو لا . فلما طلف الفجر وصليت خلفه إنصرف من صلاته وقال لي "بارك الله بك لقد قبلك الله فقبلتك ثم عدّ مشايخ سلسلة طريقه الى حضرة الشيخ عبدالخالق العجدواني رضي الله عنه ولقنني الوقوف العددي وقال هذا أول العلم اللدني وصل من سيدنا الخضر عليه السلام الى الشيخ عبدالخالق رضي الله عنه . فلم أزل في خدمته وصدق صحبته حتى أذن لي بإرشاد الخلق الى الله تعالى وقال إن ذلك سيكون سبباً لسعادتك .

(وروي) عنه سيدنا الشيخ عبيدالله أحرار قدس الله سرهما أنه قال : أمرني الشيخ رضي الله عنه بصحبة الشيخ علاءالدين في جفانيان ، فكتب لي أن أتني لصحبته إمتثالاً لأمر الشيخ رضي الله عنه . فقدمت جفانيان ولزمت صحبته حتى توفي قدس الله سره فذهبت الى هلفتو .

(وقال الشيخ عبيدالله أحرار) كان حضرة الشيخ يعقوب والشيخ زين الدين الخوافي أخوين في تحصيل العلوم في مصر المحروسة على العلامة الشيخ شهاب الدين الشيرواني . فقال لي يوماً : سمعت أن الشيخ زين الدين يعبر رؤيا المريديين ويعتمد عليها وأنت كنت في هراة فهل سمعت بهذا ؟ فقلت له : أجل . وكان وقتئذ أخذاً بلحيته الشريفة فغاب وكان من عادته أنه يغيب أثناء كلامه حتى وصل رأسه الى صدره ثم رفع رأسه بعد ساعة وأنشد ما معرّبه :

أنا إن كنت إلا عبد شمس      وإن حدثت إلا عن سناها  
وما أنا ليد أو عبد ليل      يربى المرء بالرؤيا يراها

(توفي قدس الله سره) في قرية (هلفتو) بهاء مضمومة ولام ساكنة وغين معجمة مفتوحة ومثناة فوقية مضمومة وووا ساكنة وهي من قرى الحصار .

(وله) قدس روحه خلفاء عظماء وأصحاب بلا حساب . وأعظم من سرى سر هذه النسبة المطهرة اليه شيخ هذه السلسلة المبجلة عبيدالله الأحرار رضوان الله عليه .